الباب العاشر

التربية فى القرن التاسع عشر

الحركة النفسية فى التربية

خواصها الاجمالية

لا يكاد الانسان يتبين فرقًا واضحًا بين هـذه الحركة النفسية والحركتين العلمية والاجتماعية فى زمانها أو مكانها أو رجالها ، فأصل جميعها التربية الطبعية ، وما هذه الحركات الثلاث إلا فروع متشعبة عن هذه الحركة العامة ، فلا تمتاز واحدة منها عن صاحبتيها إلا باعتبارات خاصة يتنبه إليها الانسان ويقف عندها بفكره . وإلى القارئ بعضًا من خواص الحركة النفسية .

(١) العناية بإيضاح المبادئ الطبعية فى التربية . وتمحيصها واستخدامها فى غرف التدريس . وأهم هذه المبادئ أن التربية لا ترمى إلى تحصيل اللغات وملء الحوافظ بما لايفيد من المعارف ، وإنما ترمى الى إنماء القوى التى أودعها الله فى الطبيعة البشرية .

(٢) العناية بالطفل ودراسة غرائزه وميوله الطبعية ونشأته العقلية .

(٣) الاهتمام بالتربية الابتدائية ، وقد مكث الناس قرونًا عدة وهم لا يُعْنون بغير التربية الثانوية والعالية .

(٤) السعى فى إصلاح شئون التربية بإصلاح طرائقها وتهذيب مناهجها واعداد المعلمين وإحداث روح عال فى المدارس .

(٥) إكساب التربية معنى ساميًا لم يكن مألوفًا من قبل ، وهو على ما قاله بستالوتزى إنماء القوى الانسانية جميعها على وجه منتظم متناسق وفى آن واحد .

هذه هى أهم خواص الحركة النفسية فى التربية ، ولهذه الحركة أتباع وأشياع كثيرون ، من أشهرهم بستالوتزى . وهربارت . وفروبل . وسنترجم لكل واحد من هؤلاء الثلاثة ترجمة تشرح آراءه ومذاهبه فى التربية على قدر ما هو مستطاع فى مثل هذا الكتاب .

بِسْتَالوتْزى

هو يوحنا هنري بستالوتزى أعظم أئمة التربية المصلحين الذين عرفهم التاريخ منذ عهد النهضة الفكرية فى أوربا ، وله من الأثر فى إصلاح التربية الابتدائية فى سويسرا خاصة وأوربا عامة ما لم يكن لأحد قبله أو بعده من زعماء التربية .

مولده ومنشؤه

ولد سنة ١٧٤٦ فى مدينة زوريخ إحدى المدن الجميلة فى سويسرا ، وكان والده طبيباً ماهراً يثق الناس بطبه وعلمه ، عاجلتهُ المنية وهو فى الثالثة والثلاثين ولولده من العمر خمس سنوات ، وبذلك حرم هذا الوليد نصيحاً حازماً إلى جانبه يرشده ويبصره بأحوال الوجود . وأصبحت تربيته بيد أمه وكانت صالحة تقية طيبة القلب .

نشأ بستالوتزى فى حجر أمه مغتبطاً بصحبتها لا يفارقها صباحاً ولا مساء ، ولا يعبأ أن يكون له رفقاء من سنه . وكانت أمه رقيقة القلب كثيرة العطف عليه ، فأثر ذلك فى أخلاقه أثراً سيئاً ، وحال بينه وبين كثير من صفات الرجولة الكاملة ، فنشأ غِمْراً سهل الانخداع ضعيف الثقة بنفسه ، يحب الوحدة ويتهيب المجالس والأندية ، وقد بقيت هذه الأخلاق معهُ جميع حياته وسببت له كثيراً من الخذلان والفشل فى أعماله .

نعم كان لنشأتهِ مع أمه هذه الآثار السيئة ، لكنها أنتجت مع ذلك آثاراً حميدة ، فإن مثال الصلاح الذى رآه فى أمه ، وكذلك الحياة الهادئة الساكنة التى عاشها فى جوارها ، والابتعاد عن الرفقة والأصحاب ، كل ذلك جعله كثير التفكير ، كثير التخيل شديد العطف على الفقراء والبائسين .

بستالوتزى فى المدرسة

لم يكن بستالوتزى من التلاميذ الأذكياء النجباء فى مدرسته ، ولكنهُ مع ذلك لم يكن غبياً . كان إذا أُلقى عليهِ الدرس فهم مادته فهماً إجمالياً وخفيت عليهِ دقائقه ، ولقد بقيت آثار ذلك فيهِ جميع حياتهِ ، فقد سمعنا عنهُ أنهُ كان وهو يشتغل بصناعة التعليم لا يحسن الهجاء ولا يجيد القراءة ولا الإنشاء .

كان بستالوتزى فى مدرسته أضحوكة إخوانهِ لغفلتهِ وسلامة طويتهِ وسرعة انخداعهِ وعدم لَبَاقَتهِ ، إلاّ أنهُ كان سهل الانقياد حلو الطباع مولعًا بخدمة أصدقائه ، ولذلك كثر رفقاؤه ومحبوه . زلزلت الأرض يومًا فى زوريخ فذعر من فى المدرسة من المعلمين والتلاميذ ، وغادروا بناءها مسرعين ، ثم نظروا فلم يجدوا بينهم من يرضى أن يعود اليها ليأتى لهم بقبعاتهم ومعاطفهم وكتبهم سوى هذا الفتى المطواع يوحنا بستالوتزى.

غرضه فى الحياة

لما أتم بستالوتزى دراسته فى المدرسة الابتدائية ، دخل جامعة زوريخ حيث استقل بشئون نفسه . ولقد انتظم وهو صغير السن فى سلك جماعة من الطلبة أخذوا على أنفسهم مقاومة الظلم ومحاربة العسف . ومما قاله عن نفسهِ وأصدقائهِ فى ذلك : « لقد عاهدنا أنفسنا ألاَّ نعيش إلاَّ للحرية و إنصاف العدالة و بذل الذات فى حب الوطن وخدمتهِ » . ومما قاله عن أحوال الأمم والجماعات فى وقتهِ : « لقد تبصرت فى حال الأمم فهالنى ما رأيت من المصائب والبلايا التى يتقلب فيها الناس جميعًا ، ولا سيما قومى وأهل بلادى ؛ مكر وخداع ورياء وجهل و بغى وعدوان . رأيت الانغماس فى النعيم قد التهم الفضائل التهامًا وأفسد الآداب إفساداً . رأيت أمتى قد تسفلت فى منازل الذل وانحطت الى مهاوى الفقر والتعس . هالنى ما رأيت وأشفقت على أمتى و بلادى فوهبت نفسى مذ أيفعت لخدمة فقرائها . و بذلت الذات لإسعادهم و إصلاح شئونهم ، ولم أر ثمة وسيلة لذلك سوى تخليصهم من الجهل و إعطائهم حقوقهم من التربية كاملة ، إلاّ أنى وجدت التربية المنزلية هى الأساس القوى الذى يصح أن يعتمد عليهِ فى إسعاد الشعوب ، فإن لها من الأثر فى قلوب الأطفال ماليس لغيرها من أنواع التربية ، وناهيك بتربية سداها ولحمتها الإخلاص والثقة والحب الصحيح المتبادل بين الطفل وأبويه » . فمن أراد إسعاد أمتهِ فعليهِ أن يعمل على إصلاح المنزل بإعداد الأمهات إعداداً يقدرهن على القيام بشئون التربية الأولى .

وهكذا كان لما طُبع عليهِ من إنكار الذات ، وحب الإنسانية ، والرغبة فى تخفيف ويلاتها أثر كبير فى تحديد غرضه من الحياة .

دراسته وفلاحته

لقد كان هذا الغرض الشريف هو الذى حبب الى بستالوتزى المناصب الدينية ، فقد ظن أنهُ إن أصبح قسيسًا استطاع بفضل منصبهِ أن يعظ الناس و يرشدهم الى طريق الخير ، وأمكنهُ فوق ذلك أن ينشر مبادئه و يعمل على إسعاد وطنهِ . لذلك أقبل على دراسة اللاهوت سنة كاملة إلاّ أن إخفاقه فى أول خطبة ألقاها أبان له أنهُ لم يصب فى اختياره المهنة التى تليق بهِ ، فانصرف عن الدين الى دراسة القانون مندفعًا بغرضهِ السامى من الحياة ، فقد رأى الفلاحين وفقراء القرى حوله فى تعس وذل يُخدعون و يُظلمون وليس لهم من ولى ولا نصير ، فأراد أن يكون وليهم ونصيرهم ، يدفع ما ينزل بهم من المظالم ، و يدافع عمَّا لهم من المصالح والحقوق ، ولكنهُ لم يقدر له نجاح فى هذه المهنة أيضًا ؛ فقد نزلت بهِ الأسقام وتناوبته الأمراض ، واضطرته أن يترك الكتب والحياة المدرسية ، فتركها مرغمًا ، واختار الفلاحة منقاداً اليها بغرضه السامى كما انقاد فى المهنتين السابقتين . ذلك أنه أراد أن يعيش وسط الفقراء والفلاحين ليريهم أمثلة جديدة فى الزراعة ، وطرقًا نافعة فى الفلاحة تساعدهم على أن ينالوا من أعمالهم غلة أوفر وحاصلاً أكثر . وفى سنة ١٧٦٧ أفلح فى استمالة شركة غنية فى زوريخ ، فساعدتهُ وأقرضتهُ مالاً كثيراً اشترى بهِ ضيعة كبيرة أسماها « نيُوهـُوف » (الضيعة الجديدة) ، وكانت تبلغ مائة فدان انجليزى تقريبًا ، ثم أقبل على إصلاحها وزراعة ما يصلح للزرع منها ، ومكث يعمل فيها بجده ونشاطهِ خمس سنوات تباعًا ، إلاّ أن حظه هنا لم يكن خيراً من حظه فيما سبق ، فقد ارتابت الشركة فى أمره ، فاستردت مالها منهُ ، وبذلك آل أمره فى مزرعتـهِ إلى الخيبة والخذلان . قال بستالوتزى : « إن السبب فى خيبة المشروع يرجع إلىّ وحدى ، فإنى لم اكن كفئًا لأى عمل يحتاج الى مقدرة عملية » .

فى أثناء احترافه بالزراعة تزوج بامرأته «أنَّاشوتس» ، وكانت ذات مال كثير وعقل راجح ، فولدت له ولداً أسماه يعقوب ، فجعل يربيه على مبادئ روسو ، و ينشر على

الناس نتائج التربية التى يصل اليها ، علهم يهتدون بهديها و يستنيرون بنورها ، وقد أوصلته تجاربه الى أن التربية الصحيحة لا تقتصر على قراءة الكتب وتحصيل المعارف ، وأن أولاد الفقراء يستطيعون بالتمرين العملى الصالح فى الزراعة والصناعة أن يكسبوا قوتهم و ينالوا نصيبهم كاملاً من تربية العقل وتهذيب الخلق .

مدرسته فى نيوهوف

بعد الخيبة العظيمة التى لحقته من جراء استرداد الشركة أموالها ، عاد الى العمل فى « نيوهوف » مستعيناً بأموال زوجته ، ولكنه الآن أراد أن يجمع بين أعمال الزراعة وأعمال التربية ، ففتح مدرسة صناعية لأولاد الفقراء سنة ١٧٧٤ فكانت كما قال تلميذه « كُروزى » أول مدرسة أنشئت من نوعها . جمع لهذه المدرسة نحو عشرين تلميذاً من أولاد الفقراء وأبناء السبيل ، وجعل يعولهم كما يعول الأب أبناءه ، يطعمهم و يسقيهم و يكسوهم و يسكنهم منزله ، وكان الذكور منهم يتعلمون الزراعة وأعمال الحدائق . أما الإناث فكنَّ يمرنَّ على الأعمال المنزلية والخياطة وأشغال الإبر . وفى أوقات المطر كان الذكور والإناث يشتغلون جميعاً فى غزل القطن و نِساجته . وفى أثناء هذا التمرين العملى كان بستالوتزى يحادثهم و يوجه أنظارهم الى مجالى الطبيعة ، و يستحفظهم آيات من الإنجيل ، و بذلك تمت لهم معرفة شىء كثير من مبادئ العلوم قبل أن يتعلموا القراءة والكتابة ، ومن غير أن يجلسوا الى مدرس كما يجلس التلاميذ فى مدارسنا الآن . ولم تمض على هؤلاء الأطفال السعداء شهور قليلة حتى تغيروا من حال الى حال ، قويت جسومهم ونمت مداركهم وحسنت طباعهم وأخلاقهم ومرنت أيديهم على العمل.

هكذا نجحت تجربته إلا أنه كان شديد الحرص على التوسع فى عمله فزاد فى عدد تلاميذه زيادة لم تحتملها موارده ، وسار على ذلك أياماً ، ثم نظر فوجد الدين قد ركبه ، ووجد ثروة زوجته قد ذهبت كلها ولم يبق منها فلس واحد ، فلم ير بدًّا من إغلاق مدرسته ، فأغلقها فى سنة ١٧٨٠ ، وقد كانت تلك خيبة أخرى تضاف الى أمثالها فيما سبق .

مؤلفاته

قضى بستالوتزى بعد ذلك ثمانية عشر عامًا فى فاقة شديدة ، ولكنه قضاها فى أحسن الأعمال وأنبلها . ذلك أن صديقًا نصح له أن يدون مبادئه وآراءه فى التربية ، فعمل بالنصيحة وأخذ يؤلف الكتب وينشر آراءه فى الصحف، فظهر له فى سنة ١٧٨٠ كتاب دعاه « ساعات الناسك الليلية » وقد ضمنه كثيراً من آرائه ومذاهبه ، إلا أنه كان جاف الأسلوب خاليًا من طلاوة التعبير ، فطلب اليه أصدقاؤه ومحبوه أن يختار لنشر مبادئه أسلوبًا آخر جذابًا يستميل القارئين ، فلم تمض سنة كاملة حتى ظهر كتابه القصصىُّ العظيم الذى دعاه « لِيُونَارْد وجِرْتْرُود »، فأثار

« بستالوتزى »

حركة فكرية عظيمة فى التربية ، وكان من أكبر العوامل فى عظمة مؤلفه ونشر صيته فى طول البلاد وعرضها . وقد قَدَرَت حكومات البلاد الراقية هذا الكتاب حق قدره وتنافست فى اقتنائه والانتفاع به ، حتى لقد أهدت حكومة « برن » مؤلفه وسامًا ذهبيًّا ، إلا أنه باعه لفاقة شديدة كان فيها وقتئذ .

فى هذا الكتاب شرح « بستالوتزى » المصائب والويلات التى ينقلب فيها الفقراء من أهل القرى ، ووصف أحوالهم الاجتماعية المفجعة وما هم فيه من جهل وفساد آداب ، وبيّن كيف استطاعت « جِرْتْرُود » — وهى امرأة غِمْرٌ طيبة من نساء الفلاحين —

أن تصلح حال زوجها المُدمن وتُقوِّم من أخلاقه ، وكيف قامت بتربية أولادها وأولاد جيرانها وجميع من فى بيئتها من الفتيات والفتيان . كذلك أوضح كيف استطاعت هذه المرأة الصالحة أن تجعل جميع من حولها يُحسُّون تأثيرها ونفوذها ويحذون حذوها فى الإصلاح الذى قامت به ، وكيف كانت فى كل أعمالها تستعين بمعلم القرية وحاكمها اللذين انصاعا لها وامتلأا ثقة بنفع أعمالها .

كتب بستالوتزى كتباً أخرى كثيرة فى هذه الفترة ، ولكن لم يصل واحد منها الشأو الذى بلغه كتاب « ليونارد وجرترود » على أنا لا نريد الإكثار من ذكر مؤلفاته وأعماله الكتابية لأنا نتكلم فى تاريخ الرجل من الوجهة العملية ليس غير .

مدرسته فى استانز

فى سنة ١٧٩٨ وصلت آثار الثورة الفرنسية الى سويسرا ، فدخلها الفرنسيون بخيلهم ورجلهم ، وقصدت جيوشهم الى الأقاليم الكاثوليكية ، فحرقوا المنازل ونهبوا الأموال وقتلوا الأهلين رجالاً ونساء . ولما كان بستالوتزى من المعجبين بآراء روسو فى السياسة والتربية معاً لم يكن عجباً أن صار نصيراً للثورة الفرنسية ومن أعوان رجالها فى سويسرا . لهذا رأى رجال الحكومة فى هذه البلاد ان يتقوا شره و يستميلوه اليهم بعرض بعض المناصب الحكومية عليه ، فسألوه أى منصب يختار فأجاب من فوره : «احب ان اكون معلماً» فأرسلوه الى «استانز» وهى قرية على بحيرة لوسرن خربتها الجنود الفرنسية وقتلوا أهلها ، وأحرقوا ما حولها من القرى والبلاد ، وخلَّفوا أطفالها أيتاماً لا عائل لهم . أرسلوه الى هذه القرية ليؤسس فيها مدرسته و يعول من يتمتهم الحرب هناك ، فأحس « بستالوتزى» لأول مرة أنه صادف العمل الذى طالما صبا اليه ورغب فيه ، والذى كأنما لم يخلق لشىء سواه .

ابتدأ بستالوتزى أعماله فى «استانز» وله من العمر ثلاث وخمسون سنة ، وأسس مدرسته فى دير هناك أعطته الحكومة إياه ، وقبل أن يتم إعداد المدرسة نسَل اليه التلاميذ من كل حدَب حتى امتلأ الدير بهم على سعته ، وقد أقبل على العمل بغيرة وحَمِيَّة

لم يعهدا فى معلم قبله ، ومما قاله فى ذلك: «كنت ألازم الأطفال من الصباح الى المساء ، ولم أَدَعْ فرصة يستعان بها على إنماء جسومهم وعقولهم إلاّ انتهزتها ، وما اعتمدت قط فى تعليمهم وتهذيب أرواحهم على أحد غيرى . كانت يدى الى أيديهم فى كل عمل ، وبَسَمَاتى تصحب بسماتهم فى كل حين . كنا نقتسم الطعام والشراب ونمشى جميعًا فى الحقول والمزارع نستنشق طلق الهواء . لم يكن حولى هناك أسرة ولا أصدقاء ولا خدم ، فكانوا أسرتى وأصدقائى وليس لى أحد سواهم . كنت أحس الصحة والعافية ما داموا فى صحة وعافية ، وكنت أعللهم وأسليهم وأقف بجانبهم إن نزل بهم مرض أو أصابهم داء . إذا ناموا نمت وسطهم وكنت آخر من ينام وأول من يستيقظ » .

بستالوتزى فى مدرسته باستانز

فى هذه المدرسة رأى بستالوتزى الفرصة سانحة لإخراج آرائه فى التربية الصناعية الى دائرة العمل ، وقد وجد أنّ استخدام الكتب والأدوات المدرسية هنا لا يجدى فتيلاً فى الحصول على الغاية التى يريدها من التربية . ولذلك رأى أن يعتمد فى تعليم تلاميذه على الملاحظة والتجارب العملية ، لا على إلقاء الدروس العلمية المعهودة لنا فى مدارسنا الآن . ففى تعليم الدين والأخلاق مثلاً لم يتبع طرق النصح والإرشاد ،

و إنما كان يرقب الحوادث حين صدورها من التلاميذ فيشرحها لهم ، و يستعين بها على إفهامهم قيم الاعتماد على النفس ، والعطف على الفقراء ، وشكر الجميل مثلاً .

أقام بستالوتزى فى هذه المدرسة خمسة شهور وهو محاط بصعوبات كثيرة . فقد كان الناس ينظرون اليه شزراً و يعدونه عيناً من عيون الفرنسيين الثائرين ، ولم يكن له فى مدرسته مساعد ولا معين ولا خادم يعاونه فى ترتيب أثاثها وتنظيم غرفها ، ولكنه على الرغم من ذلك قد أتى فى هذه الفترة القصيرة بما يعد عجباً فى بابه ، فقد أثر فى جسوم التلاميذ وعقولهم وأخلاقهم آثاراً بينة انتقلوا بها من حال إلى حال . قال بعضهم : « إذا صح القول بالمعجزة فما أجدر العمل الذى أتاه فى هذه الفترة القصيرة بأن يعد معجزة المعجزات » .

لم يكد بستالوتزى يفرح بنتائج أعماله حتى رجع الفرنسيون الى استانز واستولت جيوشهم على الدير ، فاتخذوه مسكناً للمرضى ومستشفى للجرحى ، فتفرق الأطفال أيدى سبا ، ولم يجد بستالوتزى مناصا من ترك أعماله ومغادرة تلاميذه ، فغادرهم فى حزن و بكاء . وهكذا قدر له أن يخيب فى عمله هذا كما خاب فى أعماله السابقة .

بستالوتزى فى « برجدورف »

غادر بستالوتزى « استانز » قاصداً الى إراحة جسمه وعقله من الجهد الذى صرفه فى خمسة الشهور الماضية ، إلاّ أن رغبته فى مزاولة العمل الذى يحبه ، لم تدعه يُخلد الى الراحة طويلاً . ولذلك لم يلبث أن ذهب الى « بِرْجْدُورْف » فاختير هناك معلماً فى إحدى مدارسها ، وكان قد اهتدى أثناء تجاربه فى استانز الى ابتداع طرق فى التدريس تَشُوق التلاميذ وتأسر انتباههم ، وكانت جميعها تدور حول الاعتماد على حواس الأطفال واستمالتهم الى اجتلاء ما حولهم من مظاهر الطبيعة ، فاستخدم هذه الطرق فى مدرسته الجديدة وأوضح طريق الأخذ بها . و بذلك وضع الأساس الأول لما يسمى فى مدارسنا الآن بدروس الأشياء .

كان فى تعليم اللغة يوجه أنظار تلاميذه الى ما حولهم من الأشياء و يشاركهم فى

الفحص عن أشكالها وألوانها ومواضعها ، ويدعوهم الى التعبير عنها بجمل متدرجة فى الطول والأساليب ، وكان ينطق بالجملة أولاً والتلاميذ يحاكونه فيها بعد ذلك . وفى تعليم الحساب كان يستخدم حبات الخرز والبندق وقطع الحجارة ، ويستعين بكل ذلك على إفهامهم معانى الأعداد . وفى تعليم الهندسة كان يأخذ التلاميذ برسم الخطوط المستقيمة والمنحنية والزوايا المختلفة . وفى تعليم التاريخ وتقويم البلدان والتاريخ الطبعى كان عماده الملاحظة واستعمال الحواس فى مظاهر الكون وآثار الانسان .

لم يمكث بستالوتزى فى المدرسة طويلاً حتى عشقه التلاميذ عشقاً ، وأصبح نفوذه بينهم كبيراً ، وأثره فى أخلاقهم وعقولهم عظيماً ، فحسده ناظر المدرسة على مكانته التى حازها ، ودعته الغيرة الى تدبير الحيلة فى الخلاص منه ، فافتصله عن المدرسة واعتذر عن عمله هذا بأنهُ على حسن أسلوبه فى التعليم لا يحسن القراءة ولا يجيد هجاء الكلمات ، وهى تهمة قاسية لولا أن لها نصيباً من الحق ؛ وقد بينا ذلك فيما سبق لنا من القول .

لم تكن طريقة بستالوتزى فى التعليم تابعة لخطة مرسومة ، ولم يكن له جدول دروس يسير عليه ، قال بعض تلاميذه : « كان بستالوتزى لفرط غرامه بالتعليم لا يقيد نفسه بوقت خاص ؛ كان يبتدئ درسه معنا فى الساعة الثامنة صباحا ، ويستمر فيهِ الى الساعة الحادية عشرة ، وكان صوته غالباً يبح عند الساعة العاشرة ، وتظهر عليه حينئذٍ علائم التعب والجهد ، ولكنه على الرغم من ذلك لا ينقطع لحظة ما عن العمل ؛ وكنا نعرف الساعة الحادية عشرة بأصوات تلاميذ المدارس الأخرى حين ينصرفون من مدارسهم ويمرون بالشوارع المجاورة ؛ عندئذ كنا نثب من أماكننا مسرعين ونغادر المدرسة من غير توديع أو استئذان » . نظام سيئ يعوق نجاح التربية ولا يرضى به أحد ، إلاَّ أن إخلاص الرجل فى عمله ، ورغبته القوية فى تخليص بنى جنسه من شرور الجهل ، أسدلا ستاراً على مثالب طريقته وهيأ له أسباب النجاح .

كانت نتائجه فى مدرسة « برْجْدُورف » باهرة تستحق الإعجاب ، قدَرَها أعضاء اللجنة العلمية فى المدرسة حق قدرها ، واعترفوا له بالفضل فى إنهاض التلاميذ والوصول

بهم الى غاية عالية من رقى المدارك وسمو الأخلاق . واليك بعض ما جاء فى تقريرهم عنه : « لقد أرانا بستالوتزى القُوَى العظيمةَ الكامنة فى طبيعة الطفل ، وأرانا الطرق التى يجب أن تُسلكَ لاستثارة هذه القوى و إنمائها . إن النجاح الباهر الذى أحرزه مع تلاميذه على صغر أسنانهم واختلاف مداركهم ، ليدل دلالة واضحة على أن كل طفل له عمل فى الحياة يضطلع به ويُغْنى فيه لو استطاع المعلم أن يوقظ مداركه ، ويستثير مواهبه على مقتضى القوانين الثابتة فى علم النفس » .

بعد أن اعتزل منصبه اشترك هو وتلميذه « هِرْمان كْروزِى » وأسسا مدرسة خاصة فى هذه المدينة أيضًا ، وعلى الرغم من الضعف الذى أظهره فى إدارة المدرسة حالفه النجاح من البداءة ، فأقبل التلاميذ على المدرسة أفواجًا وجاء اليه المعلمون ليأخذُوا عنهُ و يعاونوه فى إخراج آرائه وأفكاره الى حيز العمل .

وفوق ذلك اكثر ذوو الوجاهة والنفوذ من زيارة المدرسة وتَعَرُّفِ أعمالها ، فرأوا ما سرهم وأطلق ألسنتهم بالثناء . ولم تمض على ذلك سنوات قليلة حتى انتشرت آراء بستالوتزى فى التربية أيما انتشار ، وأخذت مكانها العملى فى غرفات التدريس .

فى سنة ١٨٠١ أثناء اقامته فى « برجدورف » ألف كتابه الذى دعاه « كيف تعلم جِرْتْرُود أطفالها » و بين فيه طريقته فى التعليم ، والكتاب طويل ينقصه شىء من الترتيب والإتقان وقلة التكرار .

مدرسة فردون

لأسباب سياسية اضطر بستالوتزى فى سنة ١٨٠٢ أن ينقل مدرسته من « برجدورف » إلى « فْردون » على شواطئ بحيرة نيوشاتل ، وهنا ظهرت عظمته ونجحت أعماله وانتشر صيته بسرعة مدهشة ، وأخذ المربون والفلاسفة والأمراء وذوو النفوذ فى البلاد يدرسون مبادئه وآراءه ، و يزورون مدرسته ليروا نجاح طرقه فى غرفات التدريس . وقد وفد عليه المعلمون من جميع القارة الأوربية ليأخذوا عنه . أما التلاميذ والطلبة فقد أقبلوا عليه من قريب و بعيد ، حتى حوى المعهد منهم ما يُربى على مائة وخمسين من أصقاع

مختلفة ، من سويسرا . وألمانيا . وفرنسا . وإيطاليا . وأسبانيا . وروسيا . ومن أمريكا .

اتسع المعهد اتساعًا عظيمًا بمرور الأيام وأصبح فيه قسم للبنات وقسم آخر للصم والبكم ، وصار بحيث يحتاج إلى حزم وعزم فى إدارته ، و بستالوتزى كما علمتَ ضعيف الإدارة قليل الكفاية فيها ، فكان هذا إلى التنافس والتحاسد اللذين دبا فى قلوب المعلمين نذيرَ الفشل والخذلان ، فأغلقت أبواب المعهد بعد أن مكث عشرين سنة والنور ينبعث منهُ إلى جميع أرجاء المعمور .

ذهب بستالوتزى بعد ذلك كاسف البال إلى موطن شبابه «نيوهوف» ليختتم فيها حياته ، فمكث بها ثلاث سنوات ثم مات سنة ١٨٢٧ وله من العمر احدى وثمانون سنة .

غرضه من التربية وطرقه فى تدريس العلوم

يذهب بستالوتزى الى أن الغرض من التربية إنما هو إيقاظ القوى الكامنة فى الطفل و إنماؤها حتى تصل إلى درجة كمالها . ويرى أن الطريق القويم لبلوغ هذه الغاية أن يؤخذ الطفل من المبدأ بتمرين حواسه وملاحظة ما يحيط به من مظاهر الكون وآثار الوجود . أما ما كان معروفًا فى زمنه من أخذ الأطفال فى المدارس بجمل يحفظونها ، ودروس يستظهرونها من غير عناية بفهم معانيها ، فقد أنكره كل الإنكار ، وقال : «إن المعانى الواضحة لاتصل الى عقول التلاميذ إلا عن طريق الحواس » . وسنشرح لك فيما يأتى طرقه التى كان يسير عليها هو وأتباعه فى دراسة الحساب وتقويم البلدان والتاريخ الطبعى والموسيقى ونترك ما عدا ذلك من بقية المواد الدراسية مخافة التطويل .

(١) طريقته فى تعليم الحساب : هنا أوجب بستالوتزى أن تستخدم المحسات قبل أن تُعرض معانى الأعداد على التلاميذ ، وقد عرفنا فيما مضى كيف كان فى مدارسه يستعين على إفهام الأطفال قواعد الحساب باستعمال حبات الخرز والبندق والحجارة الصغيرة وأعضاء البدن .

كان بستالوتزى يبتدئ بالأشياء الحقيقية مع الأطفال على ما رأيت ، حتى إذا ما سار فى ذلك شوطًا انتقل بهم الى جدول الوحدات الذى وضعهُ لجعل تعليم

الحساب عملياً مبنياً على الملاحظة ، وهو جدول مؤلف من خطوط صغيرة مستقيمة كل خط منها يمثل وحدة صحيحة ، وبهذه الخطوط كان التلاميذ يتعلمون الأعمال الحسابية السهلة من جمع وطرح وضرب وقسمة ، وبعد هذا يأتى جدول الكسور وهو مكون من مربعات بعضها صحيح وبعضها مقسم تقسيما أفقياً الى جزأين أو ثلاثة

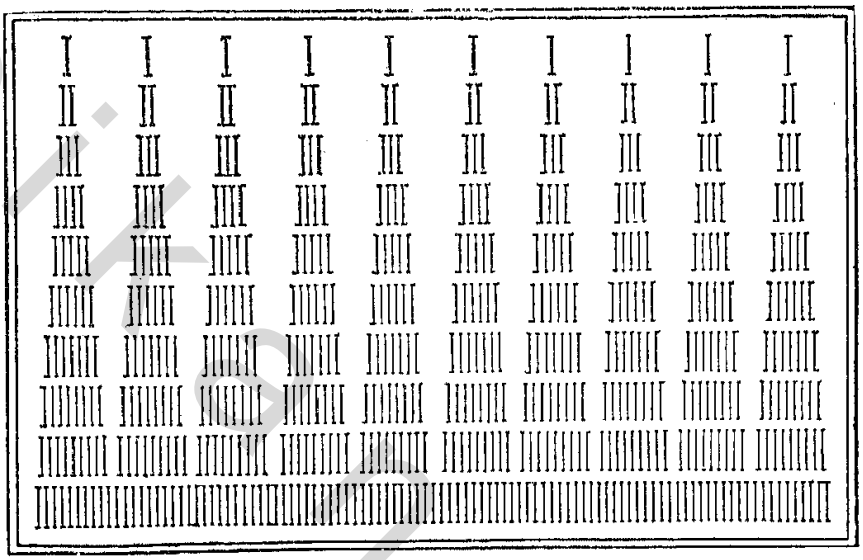

جدول الوحدات الذى وضعهُ بستالوتزى لتعليم الحساب العقلى

أو أربعة وهكذا الى عشرة أجزاء متساوية ، وكان التلاميذ بنظرة الى هذه المربعات المقسمة يعدون الأجزاء التى انقسم اليها الواحد الصحيح كما يركبون الواحد من أجزائه . يأتى بعد ذلك جدول الكسور المركبة أو كسور الكسور ، وفيه لا تقسم المربعات تقسيماً أفقياً فحسب ، وإنما تقسم تقسيماً أفقياً ورأسيا معاً الى جزأين أو ثلاثة أو أربعة وهكذا الى عشرة أجزاء متساوية . وبهذا الجدول استعان بستالوتزى على إفهام التلاميذ القواعد العامة فى تجنيس الكسور .

إن المقدرة العظيمة التى اظهرها تلاميذ بستالوتزى فى الحساب العقلى كانت سبباً من الأسباب القوية التى وجهت انظار الجمهور الى نجاح اعماله وطرائقه فى التربيـة . زار أحد التجار المشهورين مدرسة « برجدورف » وهو ضعيف العقيدة قليل الثقة ببستالوتزى وطرائقه ، فرأى من التلاميذ فى الحساب العقلى أعمالاً حَيَّرته وأدهشته ،

فكتب يقول: « لقد أدهشنى من هؤلاء التلاميذ ان رأيتهم يعالجون الكسور المعقدة ويحلون أصعب التمرينات فيها بسهولة غريبة، حتى كأنها لديهم عمل من الأعمال التى لا يحتاج إلى تفكير . ألقيتُ عليهم بعض مسائل لا أستطيع حلها بنفسى حتى أُوجه اليها كل عناية وفكر، وحتى استنفد صحائف كاملة فيما تحتاج اليه من العمل الكتابى، ولكنهم - يا للعجب - عمدوا لها بعقولهم فحلوها بهدوء من غير أن يستعينوا فيها بقلم، ثم أعطَونى نتائج أعمالها صحيحة فى لحظات قليلة » . ليس بعد هذا القول مجال للشك فى فضل الطرق البستالوتزية ومبلغ نجاحها فى تعليم الحساب، وما أجدرها بذلك ! فقد وضعت لتمرن فى التلاميذ قواهم العقلية وتسمو بمداركهم تدريجًا الى الغاية التى تستطاع .

طريقته فى تعليم تقويم البلدان : كان بستالوتزى يبتدئ دروس تقويم البلدان بحمل تلاميذه على ملاحظة البيئة التى يعيشون فيها ملاحظة صادقة، ثم يطلب إليهم بعد ذلك أن يعملوا نماذج من الطين تُمثلها تمثيلاً صحيحًا، وأن يُتبعوا ذلك برسم المصورات المتقنة . قال الاستاذ « ڤلمين » المؤرخ الفرنسى الشهير يصف طريقة بستالوتزى فى تعليم تقويم البلدان، وكان قد مضى سنتين من سنى حداثته فى معهد ڤردون يتلقى فيه العلم على هذا المربى القدير، قال : « كانت الأصول الأولى فى علم تقويم البلدان تدرس لنا دراسة عملية، فكان بستالوتزى يلجأ إلى الطبيعة ذاتها فى شرح كل أصل من أصول هذا العلم، وقد ابتدأنا الدراسة بزيارات متتالية لواد ضيق على حدود ڤردون، وكنا ندعى إلى ملاحظة ما فى هذا الوادى من اكمات وهضاب وبحيرات وجداول مياه ومستنقعات وغابات إلى غير ذلك من مظاهر الطبيعة هناك، حتى اذا عرفنا ما هنالك معرفة تامة، عدنا إلى المدرسة وقد أخذ كل منا فى سلته قطعة كبيرة من طين ذلك الوادى، ثم جلسنا على خِوان كبير لنصنع من ذلك الطين نماذج متقنة للمكان الذى زرناه، وكنا بعد ذلك نتردد الى الوادى ونُمعن فيه، ثم نعود الى المدرسة فنزيد فى النموذج بقدر ما أمعنا فى سيرنا، ونصلح ما قد وقع لنا من الخطأ فى تكوين النموذج أولاً . وبذلك كانت تزداد خبرتنا بطبيعة الأرض التى حولنا شيئًا فشيئًا » .

كان بستالوتزى لا يقصر فى ربط علم تقويم البلدان بغيره من العلوم المدرسية أثناء التدريس ، فكان يربطهُ بالتاريخ الطبعى والزراعة والتاريخ وغيرها من العلوم والفنون التى لها صلة كبيرة به .

(٣) تعليم التاريخ الطبعى : كان التعليم هنا مؤسسًا على تمرينات متدرجة فى الملاحظة والتعبير ، فكان المعلم يعرض الشىء على تلاميذه ، ويطلب اليهم أن يختبروه بحواسهم ، ويلاحظوا خواصه المختلفة ، ويسألهم أن يضعوا نتائج الاختبار والملاحظة فى جمل تختلف طولاً وقصراً على حسب أسنانهم ومداركهم .

أما موضوعات هذه الدروس ، فهى الاشياء التى كان يجمعها التلاميذ بأنفسهم فى رحلاتهم وزياراتهم الحقول والغابات المجاورة ، وكثيراً ما كان يضاف اليها بعض الحجارة والمعادن وبعض أنواع من النبات الجاف والحيوان المحنط ، وهذه يعدها المعلم بنفسه .

(٤) تعليم الغناء : كان هذا الفن من الفنون الرئيسة فى مدارس بستالوتزى ، وكانت العناية بهِ شديدة ، وقد كان التلاميذ فى دروسهم الابتدائية يتعلمون الغناء بالطريقة التى كانت تتبع فى تعليم الكلام ، أعنى بالمحاكاة والتقليد . ولألمانيا أغان جميلة سهلة كان بستالوتزى يعلمها صغار تلاميذه فيغنونها بانشراح وسرور عظيمين ، وكان بذلك يمرن فيهم حاسة السمع ويربى فيهم الذوق الموسيقى ، فاذا تم لهم ذلك انتقل بهم الى الدروس العلمية النظرية فى الغناء . وقد كان من عادته أن يختتم كل درس بأغان جميلة ، يعدها ترويحًا لنفوس التلاميذ بعد إجهادها فى الدروس النظرية .

بقيت علوم أخرى كثيرة كالهندسة والرسم والخط والتمرينات الرياضية ضربنا صفحًا عن بيان طرائقه فى تعليمها مخافة الإطالة .

مبادئه وآراؤه فى طرق التعليم

قد أتينا فيما تقدم لنا على كثير من مبادئ بستالوتزى وآرائهِ فى طرق التعليم وقد لخصها « مُورْف » أحد تلاميذه فيما يأتى : —

(١) الملاحظة أساس التربية والتعليم .

(٢) يجب أن ترتبط دراسة اللغة بالملاحظة واستعمال الحواس .

(٣) وقت التعليم غير وقت الحكم والنقد ، فلا مناقشة ولا نقد من التلميذ أثناء الدرس .

(٤) فى كل موضوع من موضوعات الدراسة يجب أن يبدأ بأسهل أصوله ، ثم ينتقل منهُ الى ما يليهِ سهولة ، على شريطة أن يكون الانتقال تابعاً لنمو المدارك وارتقاء القوى العقلية .

(٥) يجب ألا ينتقل من إحدى مسائل الدرس إلى ما يليها ، حتى يتثبت التلاميذ من الأولى و يجيدوا فهمها كل الاجادة .

(٦) يجب أن يعامل المعلم تلاميذه بأدب واحترام .

(٧) ليس الغرض من التربية الابتدائيـة ملء رءوس الأطفال بمسائل العلوم والفنون ، وانما الغرض منها إنماء القوى العقلية و إيقاظ المواهب الكامنة .

(٨) يجب أن ينتج العلم قوة ، وأن ينتج التعلُّم مهارة .

(٩) يجب أن تكون المحبة أساساً للرابطة بين المعلم والمتعلم ، ومحوراً يدور حوله النظام المدرسى .

(١٠) يجب ألا يكون التعليم غرضاً أصلياً ، فانما هو وسيلة للغاية السامية من التربية .

(١١) علاقة الأم بولدها هى أساس التربية الأدبية .

انتشار المدارس والطرق البستالوتزية بأوربا

لم يأل أتباع بستالوتزى وتلاميذه جهداً فى نشر مبادئهِ وطرقهِ المؤسسة على الملاحظة واستعمال الحواس ، ولم تلبث الممالك الأوربية أن تسابقت فى تأسيس مدارسها على الطرق والأساليب البستالوتزية .

(١) فى سويسرا : عجيب أن كانت سويسرا أبطأ الممالك فى الأخذ بآراء بطلها المقدام ، مع أنهُ ابنها وفيها أُسِّسَتْ مدارسه وعملت تجاربه فى التعليم ، الا أن ذلك قد يرجع الى أسباب أهمها ما يأتى : —

(ا) إن انعزال هذه المملكة عن غيرها من الممالك ، حبب الى أهلها المحافظة على عاداتهم وطرائقهم القديمة ، وبغض اليهم متابعة الناس فى الاندفاع وراء كل جديد .

(ب) إن نشأة بستالوتزى فى سويسرا هيأت لأهلها الفرصة الكبيرة للوقوف على مثالبه ومواطن الضعف فيه ، فحط ذلك من قيمة الرجل عندهم ، وقلل من نفوذه بينهم .

وعلى الرغم من ذلك لم يدخر أنصاره وسعًا فى ترويج مذهبه ونشره فى المملكة السويسرية ، فقد جاهد « كُرُوزِى » وغيره جهاد الأبطال ، وأسسوا المدارس الكثيرة على مبادئ أستاذهم وطرائقهِ .

(٢) فى ألمانيا : كان الإصلاح البستالوتزى فى هذه المملكة أوسع وأسرع منه فى كل مملكة أخرى ، فقد أخذ يجد سبيله فى الأقاليم الألمانية منذ بداءة القرن التاسع عشر ، ففى سنة ١٨٠١ حين أخذ بستالوتزى يستجدى ذوى المروءة والثروة ، ويطلب اليهم أن يمدوه بالمـال ليستعين بهِ على إتمام تجاربه ، كان الألمانيون أسرع الناس الى مساعدته .

وفى سنة ١٨٠٢ حين نشر « هربارت » مقالة عن الطرق البستالوتزية ، تنافس المربون هناك فى دراستها ، وأصبحت حديث كل من يهتم بشئون التربية والتعليم . ولقد كان من آثار هذا المقال أن أرسلت المانيا رسولاً من عندها الى بِرْجْدُورْف ليدرس الطرائق الحديثـة فى التعليم ، ويقفها على نتائج دراسته ورأيه فيها . وفى أثناء ذلك كان دعاة المذهب البستالوتزى ينتشرون فى المملكة انتشاراً سريعًا ، ويستميلون الناس الى مذهبهم الجديد . ففى سنة ١٨٠٥ أسس « پْلاَمَان » مدرسة فى برلين ، ونشر جملة كتب بيَّن فيها كيف تستخدم المبادئ الحديثة فى تعليم اللغـة وتقويم البلدان والتاريخ الطبعى . وفى هذه المدينة أيضًا أنشأ « زِلَر » ملجأً للأيتام ، وحذا « تُورْخ » حذوه فأنشأ ملجأً آخر للأيتام فى مدينة بوتسدام .

وفى سنة ١٨٠٨ عُيِّن اثنان من تلاميذ بستالوتزى مديرين للتعليم فى بروسيا ، فأرسلا سبعة عشر طالبًا من خيرة الطلاب الى مدرسة ڤردون ليدرسوا هناك ثلاث سنوات ، ولما عادوا قاموا جميعًا بنشر المذاهب البستالوتزية وترويجها فى البلاد . ولم

يمض إلاّ قليل حتى عمت الحركة الجديدة كل الأرجاء الألمانية ، وأخذ المعلمون ورجال الحكم والإدارة والأمراء والأعيان يدفعونها إلى الأمام ، و يشجعونها بكل ما فيهم من قوة وجهد ؛ وكان لذلك آثار صالحة فى أحوال التعليم . فبعد أن كانت طرق التدريس عقيمة ، والمعلمون غير أكفاء ، وأبنية المدارس تورث الأطفال أمراضًا وأسقامًا ، أصبح فى كل قرية مدرسة مؤسسة على الأنظمة الصحية ، يدير شئونها معلم قادر له خبرة واسعة بشئون التربية الحديثة .

(٣) فى فرنسا : كان انتشار المذهب البستالوتزى ضعيفًا هنا ، فإن الروح العسكرية السائدة فى فرنسا وقتئذ حالت فى بدء الأمر دون انتشاره . أضف الى ذلك قلة عناية الفرنسيين بأمور التربية فى هاتيك الأيام ، ودخولَ المدارس تحت سيطرة الكنيسة بعد ذلك . وعلى الرغم من كل هذا كانت علائم العناية بالمذهب الجديد تبدو شيئًا فشيئًا ، فقد ذهب القائد « جُولِين » الى ڤردون ليدرس طرائق التربية فيها ، فأثنى عليها الثناء الجميل حتى استمال ثناؤه ثلاثين تلميذاً من الفرنسيين ذهبوا الى مدرسة بستالوتزى ليتعلموا العلم هناك ، على أنه لم يكن لكل ذلك إلاّ أثر قليل فى إنهاض الحركة البستالوتزية فى فرنسا . و بقيت الحال كذلك حتى سنة ١٨٣٠ .

بعد ذلك بقليل أخذ الناس يُعْنون كل العناية بالتربية الحديثة ، والفضل فى ذلك يرجع الى الجهاد الذى جاهده « ڤِيكْتُور كُوزِن » الذى صار فيما بعد وزيراً للمعارف فى فرنسا ، فإنهُ فى سنة ١٨٣٥ نشر مقالاً يصف فيه أحوال التعليم فى بروسيا ، وقد بَيَّن فيه ما للمذهب البستالوتزى من الأثر الطيب فى إنجاح المدارس الابتدائية بتلك البلاد .

(٤) فى انجلترا : كان نفوذ « بستالوتزى » واسعًا هنا ، فقد أسس أنصاره المدارس ووضعوا الكتب على مبادئهِ ، و إليك « مَيُو » فإنهُ بعد عودتهِ من ڤردون أنشأ مدرسته ، وأخذ يبنى تعليمه على الملاحظة واستعمال الحواس ، وقد قامت أخته « اليصابت مَيُو » الى جانبه تساعده ، فألفت كتابًا سمتهُ دروس الأشياء ، وقد كان

هذا الكتاب الى غيره من الكتب التى تماثله أكبر مساعد على إدخال تدريس الأشياء فى مدارس انجلترا . وفى سنة ١٨٣٦ تكونت جماعةٌ اشترك فيها مِيُو وغيره ، و بذلوا وسعهم فى تأسيس المدارس ونشر التعليم على الطرائق البستالوتزية .

(٢) هِرْبَارت[1]

هو يوحنا فِرِدْرِيك هربارت الألمانى صاحب المباحث الجديدة فى علم النفس والاراء السديدة فى فن التربيـــة . ولد فى مدينة أُلْدِنْبُرْغ سنة ١٧٧٦، وأصبح بفضل الوراثة والتربية من أصحاب العقول الراجحة والمواهب النادرة . كان جده من رجال العلم والأدب المعروفين ، فقد ظل يدير مدرسة الآداب فى أُلْدِنْبُرْغ أربعة وثلاثين سنة . وكان والده مستشاراً حكومياً إلاّ أنه لم يشتغل بتربية ولده ، ولم يكن له من أثر ظاهر فى تقويمه وتهذيبـــه . أما أمه فإليها يرجع الفضل فى تثقيفه وتربيته . فقد كانت شديدة الشغف بتأديبه ومراقبة دراسته ، حتى لقد بلغ بها الحرص على إفادته أن درست اللغة اليونانية دراسة متقنة لا لغرض سوى أن تعين ولدها على تحصيل هذه اللغة . وهى على ما كانت عليه من لين ولطف وأدب ، كانت حازمة قوية الإرادة

---

(١) اذ مبادىء بستالوتزى على الرغم مما بها من غموض يسير ، وعلى الرغم من تفرقها وتشتتها واستنادها غالبا الى الحدس والتخمين ، كانت الاساس الذى بنى عليه هربارت وفروبل ، فقد أخذا عنه واهتديا بهديه ، إلا أنهما سارا على طريقين مختلفين فى تأويل آرائه ومبادئه . ذلك أن للمبادىء البستالوتزية وجهتين تظنان لاول وهلة متناقضتين ، وليستا بمتناقضتين ؛ فبينما يذهب بستالوتزى إلى أن التربية طريقة طبيعية تعمل على انماء القوى الكامنة فى الانسان ، تراه من جهة أخرى يقول « ان أعمال التربية تنحصر فى توليد الافكار والمعانى الذهنية من الصور الخارجية التى تصل الى النفس عن طريق الحواس » . فالوجهة الاولى تتضمن أن الطفل يولد مزوداً بجميع القوى والمواهب العقلية على نحو النظام الذى يوجد فى الرجال غير أن هناك اختلافا فى القوة والنماء ؛ والظاهر أن بستالوتزى قد أخذ هذا المذهب عن روسو فى تربيته الطبيعية . أما الوجهة الثانية وهى المبنية على أن المشاهدة والمعاينة أساس كل علم يصل الى الانسان ، فقد يستنبط منها أن عقل الطفل لا يتكون الا بتجارب واضحة محكمة يسوقها اليه معلمه . هاتان هما وجهتا التربية البستالوتزية . رأى فروبل أولاهما فبنى عليها مذهبه وأعرض عن الثانية ، ورأى هربارت ثانيتهما فشاد عليها بناء محكما ونأى بجانبه عن الاولى . ومن هنا ترى أحد المصلحين يرجع أمر التربية الى الطفل وطبائعه ويوجب العناية بدرس غرائزه ومواهبه التى خلقت معه ، فى حين ترى الآخر يهمل طبيعة الطفل اهمالا ولا يعنى الا بطريق التربية وعمل المربى .

حسنة التدبير . ولذلك تركها زوجها تسوس ولده وحدها واثقًا بكفايتها وغَنائها فى ذلك .

لم يدخل هربارت مدرسة قبل الثانية عشرة من عمره لأمراض وأسقام عرته فى صغره ، ولذلك أحضرت له أمه مؤدبًا قديراً يعلمهُ فى المنزل ، فأحسن تأديبه وعوده التفكير والتبصر فى كل أموره ، وأكسبه قوة التأثير فى التعبير ، وحبب اليه الآداب والفنون الجميلة ، حتى لقد كان وهو فى الحادية عشرة من عمره يجيد التوقيع على الآلات الموسيقية المختلفة .

لما بلغ هربارت الثانية عشرة من عمره دخل مدرسة الآداب فى « أُلْدِنْبُرْغ » ، فمكث فيها ست سنوات أتم فيها دراسة منهاجها المقرر . وفى سنة ١٧٩٤ دخل جامعة « يينا » وكانت من أزهر الجامعات الألمانيـة ، فدرس الفلسفة وأخذ عن الأستاذ « فشْت » ومكث فى هذه الجامعة ثلاث سنوات كانت عنايته فيها موجهة الى دراسة موضوعات التربية ؛ على أنهُ لم يكن قد عقد نيته بعدُ على أن يتخذ التعليم حرفة له .

اشتغاله بالتعليم

بعد سنوات ثلاث أقامها هربارت فى جامعة يينا وقبل أن ينال درجته العلمية ، دعاه حاكم مدينة « إنْتَرْلَـكِن » من أعمال سويسرا لتأديب أولاده ، فغادر الجامعة وذهب اليـهِ وأقبل على العمل بعناية واخلاص عظيمين . وكانت هذه هى تجربته الأولى والأخيرة فى التعليم . قال أحد أتباعه : « قد يظن أن تجاريب هربارت فى التعليم ضئيلة جدًّا لا تستحق الذكر ، فما هى إلاَّ ثلاث سنوات قضاها فى أسرة خاصة يعلم أطفالاً ثلاثة تتراوح أعمارهم بين الثامنة والرابعة عشرة ، ولكننا نقول إن الرجل الذى يرى الشىء العظيم فى الشىء الصغير ، فيرى النخلة الباسقة فى النواة الصغيرة ، والنار المتأججة فى الشرارة الحقيرة ، ويفهم عقول الأطفال جميعًا بدراسة عقلين أو ثلاثة ، ليس بغريب عليه أن تغنيه هذه التجربة وتكفيه » .

مكث هربارت يعلم هؤلاء الصبية ثلاث سنوات ، وكان يكتب لأبيهم مرتين فى

كل شهر ليقفه على الطرق التى استخدمها فى تعليمهم ويَدُلَّه على مبلغ نجاحهم وتقدمهم . ولقد تضمنت كتبهُ هذه أصول طريقته ومذهبه فى التربية ، ومن تأملها وقرأها بعناية لم يخف عليهِ الجهد العظيم الذى بذله هربارت فى مراقبة تلاميذه ودراسة أخلاقهم وطبائعهم دراسة علمية صحيحة تدل على عظيم إخلاصه فى عمله . ولقد كانت هذه التجربة هى الأساس الحقيقى لجميع أعماله فى التربية والتعليم ، وهى التى زودته بالأمثلة العملية التى ضربها لشرح طبائع الأطفال فى جميع كتبه ومؤلفاته ، وهى التى حملته أن يقول : « لا شىء أجدى فى إعداد المعلمين لصناعتهم من أن يدرسوا عقول طائفة قليلة من الأطفال دراسة عملية متقنة » .

اتصل هربارت أثناء إقامتهِ فى سويسرا بالمربى العظيم بستالوتزى ، فذهب اليهِ فى برجدورف سنة ١٧٩٩ وزار معهده هناك ، فأعجبتهُ مذاهبهُ واستهوتهُ طرائقه ، وكان لهذه الزيارة تأثير كبير فى عقله ، حتى لقد صحت عزيمته فى ذلك الوقت على أن يشتغل بالتعليم جميع حياته .

ترك هربارت أعماله فى سويسرا ورجع الى ألمانيا ليُتِمَّ دراسته فى جامعة « بْرِيمِن » فأكب على دراسة الرياضة واللغة اليونانية سنتين متتاليتين ، وقد أخذ فى غضون ذلك يرفع من شأن المذهب البستالوتزى ، ويعمل على تهذيبه وتنقيحه وإيضاح ما فيهِ من غموض ولبس ، فكتب مقالاً واسعًا فى التربية شرح فيهِ آراء بستالوتزى المودعة فى كتابه الموسوم « كيف تربى جِرْتْرُود أطفالها » ، وأتبعهُ برسائل أخرى كثيرة من نوعه ، إلاّ أنهُ لم يبق طويلاً على حسن ولائه لبستالوتزى ودفاعه عن آرائه ومبادئه ، فقد أخذ بعد قليل ينقدها ويُشْهِر غموضها وحاجتها الى الترتيب والنظام ، على أن ذلك لم يمنعهُ أن يوافقهُ فى كثير مما ذهب اليه ، فقد رأى رأيهُ فى جعل المشاهدة والمعاينة أساسًا للتعليم .

اشتغاله بالتأليف والتدريس فى الجامعات

فى سنة ١٨٠٩ عين هربارت أستاذاً للفلسفة فى جامعة « كُونِجْسْبِرغ » بعد وفاة الفيلسوف كَانْت الذى كان يشغل هذا المنصب ، والذى كان يعد أكبر الفلاسفة فى عصره . ولقد كان فرح هربارت بهذا المركز السامى عظيماً . وقد أفضى بفرحه هذا الى تلاميذه . وفى أثناء إقامته فى هذه الجامعة أقبل على التأليف ونشر الكتب ، فكتب فى الفلسفة والتاريخ والتربية ، ووضع أصولاً محكمة فى علم النفس بنى عليها آراءه وأفكاره فى تربية الأحداث . بعد أن أقام أربعة وعشرين سنة فى كُونِجْسْبِرغ ذهب الى جُوتِنْج ليعلم الفلسفة فى جامعتها ، وقد بقى بها حتى مات سنة ١٨٤١ . وفى هذه الجامعة اكب على تهذيب مبادئه وآرائه فى التربية حتى صير التربية علماً مستقلاً . ومن مؤلفاته التى ألفها فى آخر حياته كتابُ « المختصر فى مبادئ التربية » . وقد شرح فيه آراءه وأفكاره شرحاً عملياً ، وعرض فيه مذهبه على أحسن حال وصل اليها من الارتقاء والتهذيب

يوحنا فردريك هربارت
١٧٧٢ — ١٨٤١

مدرسته التى أسسها للمتمرين على التدريس

أنشأ هربارت فى جامعة كونجسبرغ قسماً للمعلمين، وألحق به مدرسة صغيرة للتمرين على التدريس كان يذهب اليها كل يوم ليعلّم تلاميذها بنفسه ساعة من النهار فى حضرة

الطلبة الذين لهم خبرة بآرائه ومبادئه فى التربيـــة ، حتى اذا ظن أنهم قد فهموا طريقته فهماً صحيحاً ، دعاهم الى القاء دروس على هؤلاء الأطفال تحت إشرافه ومراقبته ، فإذا ألقوها نقدها نقداً صحيحاً ، وبيَّن محاسنها ومثالبها وأرشد بعد ذلك الى أقوم الطرق فى تدريس هذه الدروس . وقد كان القصد من إنشاء هذا القسم على هذا النحو إعداد طائفة من الطلبة ليكونوا فيما بعد نظاراً للمدارس الابتدائيـــة ومفتشين يفتشون التعليم ، وبفضل هذه الطائفة انتشرت مبادئ هربارت وتقدمت المدارس ، وارتقى التعليم فى بروسيا وكذلك فى جميع الأقاليم الألمانية .

آراؤه فى العقل الانسانى وطريق تكوينه

قد أوضحنا فيما سبق لنا أن بستالوتزى يذهب الى أن الطفل يولد مزوداً بجميع القوى والمواهب العقلية على نحو النظام الذى يوجد فى الرجال ، إلا أنها فيه كامنة غير نامية ، وأن عمل المربى ينحصر فى إيقاظ هذه القوى وإنمائها فحسب . أما هربارت فيخالف بستالوتزى فى ذلك ، ويقول إن الطفل لا عقل له حين يولد ، وينكر الغرائز والميول الطبعية والاستعداد الفطرى ، ويذهب الى أن العقل نتيجة التربية ، أو هو مجموع الأفكار التى تصل الى الانسان عن طريق الحواس .

يقول هربارت إن الأفكار اذا تولدت فى النفس من انعكاس الصور الخارجية فيها ، بقيت ولم تخرج أبداً ، وحاولت كل فكرة أن تظهر على اخواتها فى الوصول الى أعلى مرتبة فى دائرة الشعور ، فإذا تم الفوز لواحدة منها جذبت اليها ما يشاكلها من الأفكار ، وطاردت كل فكرة لا تلائمها فدفعتها الى حاشية الشعور ، وربما أخرجتها من دائرته إخراجاً . وإذا دخلت افكار جديدة بعد ذلك فإما أن تتشاكل هى والأفكار القديمة ، وإما لا ، فان كانت الأولى وجدت ما يعاونها فى أن تتبوأ مكاناً فى بؤرة الشعور ، وان كانت الثانية فما أشقى حظها ؛ تطاردها كل فكرة قديمة وتدفعها قليلاً أو كثيراً على حسب قوة التنافر وضعفه . وبهذا نرى ما للأفكار القديمة من الأثر فى طرق إدراك المعانى الجديدة ودرجات وضوحها فى النفس .

نتائج آرائه فى تكوين العقل

بنى هربارت على آرائه المتقدمة فى تكوين العقل الإنسانى نتائج خمسا لها شأن كبير فى أعمال التربية والتعليم :

(الأولى) أن للمربى أثراً عظيماً فى صوغ عقول الأطفال وتكوينها

(الثانية) أنه يجب على المربي أن يفطن دائمًا للأفكار القديمة فى ذهن التلميذ ، وان يستعين بها على إيصال المعانى الجديدة اليه .

(الثالثة) ألا يألو جهداً فى ربط مواد الدراسة بعضها ببعض .

(الرابعة) أن يسير فى دروسه على خطة ذات مراتب خاصة .

(الخامسة) أن يعمل على تجميع مواد الدراسة بقدر ما هو مستطاع .

ولنذكر كلمة عن كل واحدة من هذه النتائج تزيد فى ايضاحها وتشرح طرق الأخذ بها:

(١) أثر المربى فى تكوين عقول الأطفال : لما كان الطفل يولد على رأى هربارت خِلْوا من الغرائز وأنواع الاستعداد ، كان للمعلم أكبر أثر فى تكوينه ، فإليهِ يرجع الفضل فى ارتقاء مداركه وكمال أخلاقه ، وعليهِ تقع المؤاخذة إن أصبح سيء الطبع ضعيف العقل .

(٢) الاستعانة بالمعانى القديمة فى إدراك المعانى الجديدة : يذهب هربارت الى أن المعانى الجديدة اذا دخلت النفس أخذت تخطب ود المعانى القديمة فيها ، لتستعين بذلك على الإقامة فى بيئة لا عهد لها بها ، وهناك تجد صواحب يُشاكِلْنَها ويرحبن بها ويجذبنها الى بؤرة الشعور ، وتجد ايضًا عدوّات لا يلائمنها ؛ يغضبن لقربها ويعملن على مطاردتها ، ولذلك وجب على المعلم أن يأخذ بناصر هذه الأفكار الجديدة ، فيقرب مسافة الخلف بينها وبين القديمة ، ويعقد أواصر المودة بين الطائفتين باظهار ما بينهما من العلاقات والصلات . ومن هنا أوجب أتباع « هربارت » أن يعمل المربى جهده فى ربط المعانى بعضها ببعض ، فعليه فى فاتحة الدرس مثلاً أن يبحث فى معارف التلاميذ القديمة ، ويستحضر منها ما يساعد على فهم درسه الجديد ، وليس ذلك من السهل على كل معلم ، فالمدرس الماهر الذى مارس التلاميذ نحواً من سنة ، يسهل عليه أن يعرف ما عندهم من المعارف القديمة التى يستطيع أن يتخذها أساساً لدرسه الجديد ،

أما المعلم الذى يحاول التدريس فى فرقة لا عهد له بهـا ، فقد يجد ذلك من الصعوبة بمكان

(٣) ربط مواد الدراسة بعضها ببعض : إن الأفكار القديمة تساعد على فهم الجديدة وتزيد درجة وضوحها ، والأفكار اذا اتصل بعضهـا ببعض صارت منبع قوة للإنسان وأفادته فى الحياة كثيراً ، اما المعارف المتقطعة التى لا صلة ولا تماسك بينها فهى واهية الأساس سريعـة الزوال قليلة الجدوى فى الحياة . ولذلك أوجب أتباع « هربارت » أن يكون بين مواد الدراسة ارتباط متين فى التدريس ، فيجب أن تربط دروس الإملاء بدروس الخط والمطالعة مثلاً ، وأن تتصل دراسة التاريخ بدراسة تقويم البلدان ، وأن تمشى دروس الرسم الى جانب دروس الرياضة والعلوم الطبعية ، وأن تقرن دروس الآداب بدروس المحفوظات وهلم جرًّا .

إن هذا الربط يزيد مواد الدراسة جلاءً ووضوحًا ، ويساعد على بقائها وثباتها فى النفس ، ويدفع عن الأطفال ما يعتريهم من الملل والسآمة أثناء التدريس .

(٤) مراتب الدرس : لهربارت طريقة فى التدريس بناها على مذهبـه فى تكوين العقل وما رآه من وجوب وصل المعارف بعضها ببعض ، وهى طريقة ذات مراتب خاصة يسير المعلم عليها فى تدريسه ، وقد كانت هذه المراتب أربعًا حين وضعها هربارت ، ثم هذبها أتباعه من بعده تهذيبًا كثيراً ، وزادوا عليها واحدة ، وسموها بأسماء مختلفة ؛ وهى على ما ذكره الأستاذ « رين » أحد اتباعه المشهورين (١) المقدمة . (٢) العرض . (٣) الربط . (٤) التعميم . (٥) التطبيق .[1]

---

(١) يجمل هذه الطريقة أن يبتدئ المعلم درسه بمقدمة قصيرة تتكون من جملة أسئلة تلقى على التلاميذ ليستحضر بها شيئا من معارفهم القديمة التى لها صلة بالدرس الجديد ، والغاية من ذلك تشويقهم الى موضوع الدرس وتهيئة أذهانهم لفهمه . فاذا تم ذلك وانبعثت فى التلاميذ الرغبة الى سماع الدرس عرض المدرس عليهم مادته الجديدة مرتبة ترتيبا منطقيا ، واستخدم فى عرضها كل ما أفاد من وسائل الايضاح . بعد ذلك تأتى مرتبة الربط وفيها يقرن المعلم بين المعارف القديمة والجديدة ، ويبين ما بينها من الروابط والصلات ووجوه التشابه والتضاد ، والغاية من هذا الربط مساعدة التلاميذ على الفهم والذكر . المرتبة الرابعة مرتبة التعميم ، وفيها تستنبط التعاريف والقواعد العامة من الامثلة والمقدمات التى سيقت للتلاميذ . فى نهاية الدرس تأتى مرتبة التطبيق وهنا تستخدم القواعد العلمية فى المسائل العملية ، ولهذا التطبيق فوائد كثيرة فانه يقف المعلم على مبلغ فهم التلاميذ درسهم الجديد ، ويساعد على ثبات المعارف الجديدة فى الذهن ، ويظهر للتلميذ ما للعلم من الفائدة العملية فى الحياة الخارجية .

(٥) تجميع المواد الدراسية حول مركز واحد : إذا اختيرت المواد الدراسية لفرقة من الفرق ، وجبت العناية بترتيبها وتنظيمها تنظيما يجمعها فى الذهن ، ويُظهر ما بينها من الروابط والصلات . ولهربارت فى هذا الترتيب طريقة شائعة معروفة ، وهى أن يُختار لكل فرقة من الفرق الدراسية موضوع خاص يتخذ محوراً للتعليم ، ثم تجمع حوله المواد الدراسية ، وتربط بهِ ربطًا يساعد على إدراكها ، فتكون كأنها مادة واحدة لا مواد منفصل بعضها عن بعض . وقد شاع فى المدارس الألمانية أن يُتَّخذ « رُوبِنْصون كْرُوزُو » محوراً للتعليم فى الفرق التى تبلغ أعمار الأطفال فيها عشر سنوات ، وهنا يقرأ التلاميذ قصته المشهورة فى كتاب يناسب أسنانهم ، ويكتبون موضوعات إنشائية لها صلة بأعماله وحياته ، وينشدون الأناشيد والأغانى فى مروءته وشجاعتهِ ، ويرسمون مختلف الأشياء التى تذكر فى سيرته ، وتُرْبَطُ دروسُهم فى تقويم البلدان بجزيرته التى كان يسكنها ويبتدئ منها أسفاره وهلم جرا . فتمر بذلك ذكرى « رُوبِنْصون كْرُوزُو » فى كل مادة يدرسها الأطفال ، وفى كل درس يتلقونه ، وبذلك تظهر لهم المواد الدراسية وثيقة العرى متينة الارتباط .

رأيه فى غرض التربية ومناهجها

غاية التربية على مذهب هربارت أدبية محضة ، فهو يذهب الى أن الغرض منها هو تهذيب الأخلاق واكتساب الفضائل وقد قال فى ذلك إن أعمال التربية جميعها يمكن تلخيصها فى كلمتين هما « تهذيب النفس » .

أما المناهج الدراسية فيرى أن تكون مبسوطة واسعة بحيث تربى فى التلاميذ ميولاً مختلفة ، واهتمامًا عامًّا بشئون الحياة على اختلاف مناحيها وتباين مظاهرها . وقد قسم العلوم الى كونية واجتماعية ، وقسم العلوم الكونية الى حسية وفكرية وجمالية . ذلك أن كل ظاهرة من ظواهر الكون إنْ نظرنا اليها من جهة إحساسنا بها ، وانطباع صورتها فى نفوسنا ، كانت مندرجة فى العلوم الحسية . وان نظرنا اليها من جهة أن لها أسبابًا ونتائج ، كانت مندرجة تحت العلوم الفكرية . وان بحثنا فى جمالها وما تبعثهُ فى النفس من السرور ، كانت من العلوم الجمالية .

أما العلوم الاجتماعية فقد قسمها أيضاً ثلاثة أقسام :

(١) ما يتعلق بواجب الإنسان لأخيه

(٢) ما يتعلق بواجب الإنسان لوطنه

(٣) ما يتعلق بواجب الانسان لربه

وقد أوجب « هربارت » أن تدرس كل هذه العلوم فى المدارس على اختلاف أنواعها ، لا فرق بين ابتدائية وثانوية وعالية ، وخول المربى الحرية المطلقة فى بسط موضوعات الدراسة أو إجمالها على حسب قدرة تلاميذه وكفاياتهم ، على شريطة ألا يهمل موضوعاً منها إهمالاً .

وعلى المعلم ألا ينسى ربط هذه العلوم بعضها ببعض أثناء التدريس ، حتى تظهر للتلاميذ كأنها علم واحد يبحث فى موضوع واحد ، فان ذلك يزيد إقبال التلاميذ على الدراسة ، و يبعث من شوقهم اليها .

تمحيص مبادئه ونقدها

وضع « هربارت » مبادئه وأسسها على أصول ثابتة فى علم النفس ، وهى مبادئ رشيدة لولا ما أخذ عليها من كثرة المغالاة ، وتقييد أساليب التربية بقيود أضاعت حرية المربين والمدرسين ، وأهملت فيهم قوى الابتكار والافتنان فى استنباط طرق جديدة للتعليم ، إلا أن الذنب فى هذه المغالاة وهذا التقييد يرجع اكثره إلى اتباعهِ وأنصاره لا إليهِ ، ولو أنصفه الناس فدرسوا مبادئه دراسة متقنة ، وفرقوا بين ما وضعهُ بنفسه وما زاده أتباعه ، لرأوه من أشد الناس اعتدالاً فى رأيه وفكره . ولنضرب لك الأمثلة التى تؤيد ذلك :

(١) شاع بين الناس أن « هربارت » يرى أن الطفل يولد صفحة بيضاء خلواً من الغرائز بعيداً عن آثار الوراثة العقلية ، وان عقله إنما يتكوّن من المعانى والصور التى تأتى إليهِ من الخارج فتنطبع فى نفسه . ولقد بنى أتباعه على مذهبهِ هذا أن الارتقاء العقلى ميسور للأطفال جميعاً على حد سواء ، لأنهم متساوون فى أصل الفطرة ، وأن

للتربية تأثيراً فى الأطفال غير محدود ، فإن شاء المربى سقاهم من معين الحكمة والفلسفة كل قطرة ووصل بهم الى أرقى درجات النبوغ والارتقاء ، إلاّ أن « هربارت » لم يكن ليغلو كل هذا الغلو ، ولم يكن ليذهب إلى أن للمربى كل ذلك التأثير ، فقد كان يعترف أن أمهر المربين قد يعجز فى كثير من الأحيان عن أن يصل بطفل من الأطفال إلى الغاية التى يريدها له وإن بذل فى ذلك منتهى الجهد وغاية الوسع ، ويعلل ذلك بأن فى الطفل استعداداً جسمياً يؤثر فى الروح قليلاً أو كثيراً ، وأن هذا الاستعداد إما أن يكون عوناً للمربى على الوصول به إلى ما يرجى له من نبوغ وارتقاء ، وإما أن يكون عقبة فى سبيله تحول بينهُ وبين الغاية التى يرمى إليها ؛ فهو وان أنكر الوراثة العقلية يثبت الوراثة الجسمية ، ويقول باختلاف الأطفال فى استعدادهم المادى . ومن أجل ذلك أوجب على المربين أن يُعنُوا بدراسة الطبائع المادية للأطفال ، وأن يسيروا فى تربيتهم سيراً يلائم هذه الطبائع .

فأنت ترى أن « هربارت » لم يركب شططاً فى عقيدته هذه ، ولم يذهب إلى أن مصير الأطفال معقود بأيدى المربين فحسب ، وهو وإن كان شديد الإيمان بالتربية موفور الثقة بعظيم تأثيرها ، يرى أن للوراثة المادية دخلاً كبيراً ، فقد تُنهضها وتيسر أعمالها ، وقد تقف فى سبيلها وتسد الطريق على القائمين بأمرها .

(٢) يذهب « هربارت » إلى أن كل مادة من مواد الدراسة يجب أن تعرض على الأطفال بطريقة مشوقة جذابة سارة للنفس ، ولكنهُ من جهة أخرى لا يسوّغ ذلك التشويق المصطنع المتكلف الذى عيبت به طرائقه واتهمت به خطأ . ومما قاله فى ذلك « إن المبالغة فى وسائل التشويق والمغالاة فى الحرص على تسهيل الدروس بطرق مصطنعة متكلفة ، لمن أعظم الأسباب التى تعمل على تضليل التلاميذ واختلاط المعانى فى نفوسهم . وإنهُ لمن الخطأ البين أن تذلل لهم صعوبات الدروس كل التذليل وأن تساق اليهم الأعمال هينة سهلة ؛ فان التلميذ الذى لا يكلف شيئاً من الأعمال الصعبة الشاقة على النفس يبقى جاهلاً بمبلغ قوته ، فلا يدرى أى الأعمال يستطيع النهوض به وأيها لا يستطيع » . وقال أيضاً « قد يبذل المعلم جهده فى تشويق التلاميذ

ولا ينجح فى أسر انتباه تلميذ فى الفرقة ، ولذلك يجب عليه أن يلتجئ فى بعض الأحيان الى الانتباه الاختيارى الذى يبذله الطفل بمحض إرادته وعزيمته » .

(٣) من مبادئ « هربارت » المشهورة وجوب ربط مواد الدراسة بعضها ببعض ، وربط أصول المادة الواحدة كذلك ، ولكنه مع هذا كان يأبى المغالاة فى ذلك الربط ، ولا يقبل منه إلا ما كان طبعياً غير متكلف .

(٤) لما رأى « هربارت » أن الطفل فى حياته العقلية يشبه الرجل فى العصور الأولى عصور الهمجية ، ذهب إلى أنه من الواجب أن تسير تربية الطفل فى الطريق التى سارت فيه تربية النوع ؛ ولذلك حاول وضع منهاج للدراسة يساعد على جعل الارتقاء الفكرى فى الطفل شبيهاً بالارتقاء الفكرى فى النوع ؛ إلاّ أنه لم يُتح له أن يفصّل هذا المذهب تفصيلاً واسعاً . ولما أتى « زِلَر » أحد أتباعه المشهورين غالى فى هذه الفكرة ، ووضع النظرية المشهورة بنظرية العصور التهذيبية على ما سيأتى بيانه .

(٥) وضع « هربارت » طريقته فى التعليم ، وقسمها الى مراتب عدة مؤسسة على طريقة اشتغال العقل بأعماله ، ورأي ألا تدرس مادة بأكملها أو جزء من مادة مستقل بذاته ، حتى تستخدم فيه كل هذه المراتب التى ذكرها . وعلى رأيه هذا قد تظهر المراتب جميعها فى درس واحد إن كان الدرس موضوعاً من الموضوعات الكاملة المستقلة ، وقد لا تظهر الا فى دروس عدة إن كان كل درس يستوعب جزءًا من المادة غير مستقل بنفسه . فاذا كان هذا هو مذهب « هربارت » فلا وجه إذاً لمن يعيب طريقته بأنها تقضى أن تصاغ الدروس جميعها فى قالب واحد ، وأن تصقل صقلاً واحداً ، مع أن لكل درس ميزات تستدعى أن يسبك سبكاً خاصًّا . نعم قد غالى كثير من أتباعه فى استعمال هذه المراتب ، وحرصوا على استخدامها فى كل درس من الدروس مهما كان نوعه ، فإلى هؤلاء يجب أن يتجه اللوم والنقد .

انتشار مبادئه

(١) فى ألمانيا : لم يكن لمبادئ « هربارت » شىء من الشهرة فى بادئ الأمر ، ولم يكن من الناس من يعرفها ويهتم بشأنها إلا نفر قليل من أتباعه وأنصاره ، ولكنها

لم تلبث طويلاً على هذه الحال ، إذ لم يمض ربع قرن كامل على وفاة صاحبها حتى قامت مدرستان زاهرتان وسارتا على هـذه المبادئ ، أولاهما مدرسة « ستُوى » والثانية مدرسة « زِلَر » وقد أخذت كل واحدة من المدرستين المذكورتين تبذل وسعها فى تطبيق مبادئ « هربارت » إلا أنهمـا اختلفتا فى ذلك اختلافاً واسعاً. فبينا ترى المدرسة الأولى قد حافظت جهدها على نصوص المبادئ الأصلية ولم تتعدها قِيد شبر ، ترى الثانية قد غالت فى تطبيقها وتوسعت فى تأويلها توسعاً أبعدها بعض البعد عن الأصل الذى وضعت عليهِ .

كان « تِسْكُون زِلَر » (١٨١٧ - ١٨٨٢) لا يألو جهداً فى بسط طريقة هربارت وتحبيبها الى الشعب ، وقد عمل أعمالاً عظيمة فى هذا الشأن أيام كان معلماً فى مدارس الآداب ، وحين كان أستاذاً فى جامعة « ليبزك » ، فمن ذلك أنهُ كوَّن جماعة لدراسة التربية دراسة علمية عرفت بجماعة هربارت ، ولا تزال هذه الجماعة قائمة الى الآن تنهض بأعمال التربية وتسير بها الى الأمام . ومن أعماله أيضاً أن هذب نظريتى ربط المواد الدراسية وتجميعها حول موضوع واحد يكون بمثابة محور تدور حوله . وهو أول من قرر نظرية العصور التهذيبية تقريراً جلياً لا خفاء معهُ ، وقد وضع فوق ذلك منهاجاً للدراسة ينطبق على هذه المبادئ كل الانطباق .

أما « كارْل ڤُولْكْمارستُوى » (١٨١٥ - ١٨٨٥) مؤسس المدرسة الثانية الآنفة الذكر ، فلم يزد شيئاً على مبادئ هربارت سوى أنهُ جاهد فى نشرها وأكسبها قوة لم تكن لها من قبل . وقد أسس مدرسة للتمرين فى « يينا » وسار بها على مبادئ هربارت الأصلية .

جاء بعد ذلك جمع عظيم من معلمى المدارس وأساتذة الجامعات فى ألمانيا وآزروا جميعاً مذاهب هربارت ، واستخدموها فى حجرات التدريس ، وهم وإن اختلفوا فى آرائهم وتباينوا فى طرائقهم وابتعدوا عن المعين الذى اغترفوا منه ، لا يزالون يُنسبون الى هربارت ، ويدعون جميعاً أتباعَه وأنصارَه .

استمرت الدعوة الى مذاهب هربارت ومبادئهِ ، وتوسع الناس فى تطبيقهـا

واستخدامها ، ولم يقفوا بها حيث وقف صاحبها ، فبعد أن كان هربارت يدعو الى الاهتمام بدراسة التاريخ والآداب واتخاذهما وسيلتين لتهذيب الأخلاق ، ويقصر ذلك على المدارس الثانوية فحسب ، قام متأخرو أتباعه وأوجبوا العناية بهذين العلمين فى المدارس الابتدائية أيضًا ، على أن يسوق المدرس حديثه عنهما مساق القصص والحكايات والتراجم الموجزة . وبذلك نال التاريخ فى المدارس الألمانية منزلة عالية بين مواد الدراسة ، وأصبح علمًا مستقلاً بذاته لامتمماً لدروس المطالعة وتقويم البلدان كما كان سابقًا .

كان من نتيجة انتشار الدعوة الهربارتية أن شاعت بين المربين الألمانيين فكرة اتخاذ التاريخ وسيلة لغرس الخلال الطيبة فى الأحداث ، وأن أخذ المعلمون فى المدارس الألمانية يعنون بما فى تاريخ بلادهم من الموضوعات التهذيبية أكثر من عنايتهم بموضوعاته السياسية ، وقد وضعوا لهذا الغرض منهاجًا ثنائياً ضمنوه تاريخى أمتين شهيرتين ؛ بأولهما تاريخ اليهود مسوقًا فى أقاصيص مختارة من التوراة ، وثانيهما تاريخ الألمان مصوغا فى قوالب حكايات وقصص شائقة ؛ وأوجبوا دراسته فى المدارس الابتدائية .

(٢) فى الولايات المتحدة بأمريكا : كان لهذا المذهب فى الولايات المتحدة آثار عظيمة واضحة تفوق آثاره فى أى بلد آخر متى استثنينا الأقاليم الألمانية . والفضل فى نشر الدعوة الى هذا المذهب فى تلك الولايات يرجع الى طائفة من المعلمين الأمريكيين درسوا فى جامعة « بينا » بألمانيا فى أوائل القرن التاسع عشر ، ثم رجعوا الى بلادهم مملوئين إيمانًا بأن فى مذاهب هربارت حلاً لمشكلة التعليم وإصلاحًا لأحوال التربية فى أمريكا ، وابتدءوا من فورهم يدعون الناس الى عقيدتهم ، فلاقت الدعوة نجاحًا كبيراً .

وفى سنة ١٨٩٥ تكونت فى هذه البلاد جماعة كانت ترمى الى دراسة التربية دراسة علمية مستفيضة ، وقد أنشأت مجلة سنوية تنشر فيها نتائج أعمالها وبحوثها ، فلم يحل عليها الحول حتى كان المنتظمون فى سلكها يبلغون سبعمائة . وبفضلها أصبحت المذاهب الهربارتية تدرس فى الأندية والمدارس والجامعات ، حتى لقد قال الدكتور

« هَرِس » فى تقريره العـام عن التربية فى سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٥ « لقد أصبحت الولايات المتحدة وفيها من أنصار هربارت وأتباعهِ اكثر ممن يوجد منهم فى البلاد الألمانية » .

كان من نتائج انتشار هـذا المذهب فى الولايات المتحدة أن اتجهت العناية الى التوسع فى دراسة التاريخ فى مدارسها الابتدائية ، وأن أصبح للمربين من دراسته أغراض أوسع وأعم ؛ فبعد أن كان منهاجه لا يشمل سوى التاريخ الأمريكى ، أصبح يشمل فوق ذلك تاريخى الإنجليز والألمان وشذرات ممتعة من تاريخى اليونان والروم . وبعد أن كانت دراسته مقصورة على الفرق الراقية أصبحت تبتدئ من الفرقة الثالثة فصاعداً . على أن الفرقتين الأوليين قد نالتا بعض الحظ من ذلك ، فقد صيغت لهما قصص وحكايات تاريخية وتراجم موجزة تلائم أسنان الأحداث فيهما . وبعد أن كان المدرسون لايقصدون من دراسته سوى تحبيب الأوطان الى الأطفال ، أصبحوا يرمون فوق ذلك الى غرس الفضائل فى النفوس ، ويعملون على ترقيـة شئون الأفراد والجماعات .

كذلك كان حظ دراسة الآداب عظيما فى هذه البلاد بفضل انتشار هذه الدعوة أيضاً ، فقد أصبحت المؤلفات الأدبية التامة تجد مكاناً فسيحاً فى المدارس الابتدائية ، بعد أن كان لا يدرس منها إلا مختارات وجيزة .

فروبل

هو فِرِدْريك وِلْهِلْم فروبل تلميذ بستالوتزى وباسط مبادئه فى التربية وصاحب الفضل فى تأسيس روضات الأطفال ، ولد سنة ١٧٨٢ في « أُوبَرْفِزْباخ » وهى قرية ألمانية فى غابة تُورِنجيا البديعة الجميلة ، ولم تعش أمهُ بعد ولادتهِ إلاّ قليلاً . أما والده فكان قسيساً ، وكانت أعمال مهنته كثيرة تحول بينه وبين العناية بتربية ولده ، فتركه لخادمة فى منزله وعهد اليها بتدبير شئونه وسياسة أموره ، إلاّ أنها قصرت فى الأمانة التى قبلت حملها وأهملتها كل الإهمال .

ولما بلغ الوليد من العمر عشر سنوات ذهب إلى خاله وعاش معهُ فى اسْتَاتِلْم ، وهى مدينة لا تبعد كثيراً عن أوبرفزباخ . ومن فضل خاله عليه أن أدخله المدرسة حيث كثر رفاقه وأصحابه ، وحيث مكث أربع سنوات تعلم فى أثنائها جملة من العلوم الابتدائية وقليلاً من اللغة اللاتينية . ومما كتبهُ عن هذه المدرسة بعد ذلك بأربعين سنة قوله : « تأملت المدرسة أول ساعة دخلتها فاذا التلاميذ جميعًا يرتلون آية الإنجيل (ليكن دين الله أول همك وأول شىء تسعى اليه) فكان لهذه الآية من الروعة والأثر فى قلبى ما لم أشعر بمثله قبل ذلك الوقت أو بعده ؛ نعم كان الأثر فى نفسى شديداً حتى لقد بلغ من قوته أنى أذكر الآية الآن كلمة كلمة ، وأحس أصوات الأطفال ونغماتهم واضحة جلية فى نفسى كأن لم يمض عليها أربعون عامًا » .

فى السنة الرابعة عشرة من عمره عاد الى مسقط رأسهِ أوبرفزباخ فرأى أبوه منهُ ميلا الى الأعمال الخلوية فأرسله الى رجل من عمال الحراج فى غابة تورنجيا الشهيرة ليتخرج فى أعمال الهندسة وصيانة الأشجار ومسح الأراضى وتقدير قيَمها فمكث هناك ثلاث سنوات وهو فى أحضان الطبيعة ؛ يتأمل مشاهدها ، ويرقب أعمالها وطرائقها ، ويستنبط منها النتائج الثابتة والحقائق العلمية الصحيحة مما كان له أبلغ أثر فى جميع أدوار حياتهِ .

فى سنة ١٧٩٩ دخل فروبل جامعة « يينا » حيث سمع دروسًا ومحاضرات فى الرياضة وعلم النبات والتاريخ الطبعى والطبيعة والكيمياء وفى الشئون المالية وأعمال الحراج وهندسة البناء . ومما كتبه عن دراستهِ علم النبات قوله « كان أستاذى فى هذا العلم عاقلا حاذقًا ماهراً مملوءًا رحمة وحنانًا كثير الغيرة على علمهِ شديد الحرص على نفع تلاميذه . وبفضل إرشاده وعظيم عنايتهِ اتسعت خبرتى بالطبيعة وأسرارها . وازداد ميلى اليها وشغفى بها . وإنى لاذكره الآن وأذكر له أيادىَ وصنائعَ لن أنساها ماحييت » .

وبعد ثمانية عشر شهراً قضاها فى الجامعة ضاقت به نفقته وركبهُ الدين ، ولما ظهر عجزه عن إبفاء غرمائه زُجَّ فى السجن فلبث فيه تسعة أسابيع ، ثم أطلق على أن يقضى دينه من ميراثه المرجوّ له .

بعد إطلاقه من معتقله ذهب إلى بلده ومسقط رأسه وأكب فيه على دراسة

الآداب الألمانية ، ولكنه لم يلبث طويلاً حتى فاجأت المنية أباه ، فألجأته الحاجة الى البحث عن عمل يكسب به قوته ، وظل أربع سنوات يحترف حرفًا مختلفة و يشغل مناصب متنوعة لا تبعث فى نفسه سروراً ولا تكسبه مالاً كثيراً .

اشتغاله بصناعة التعليم

فى سنة ١٨٠٥ ذهب الى مدينة « فرَانْكفُورت » ليدرس هندسة البناء ولم يلبث هناك طويلاً حتى عرفه الدكتور « جرُونر » رئيس احدى المدارس فى هذه المدينة ورأى فيه من الهبات الطبعية والمكتسبة ما يكون له خير معين ان هو احترف صناعة التعليم ، فازدلف اليه وقال له : «دع عنك أعمال البناء وهندسته فانها صناعة لا تصلح لها ولا تصلح لك ، وأقبل على التعليم فانه خير لك منها ، وفى مدرستنا منصب خال أعدك به لو قبلت الدخول فى صناعتنا » . فتردد الشابُّ قليلاً ثم قبل . وفى أول مرة دخل فيها المدرسة وزاول عمله ، داخله من الغبطة والانشراح ما أقنعه بأنه اهتدى فى آخر أمره الى العمل الذى أعدته الطبيعة له . ومن رسالة له كتبها إلى أخيه فى هذا الشأن قوله : «يخيل إلىّ الآن أنى خلقت للتعليم وأنى لا أصلح لعمل سواه ، فانى أشعر حين اشتغالى به أنى طليق فى بيئة توافقنى وتلائم طبائعى كما تشعر السمك وقت سباحتها فى الماء والطيور حين تحليقها فى الهواء . وانك يا أخى لا تستطيع أن تقدر السعادة التى أجدها فى نفسى حين أقضى الأوقات فيه ، وأفكر فى غاياته وأغراضه السامية ، وأرى الأطفال من حولى يعرفون الجميل و يجزوننى عليه بالحب الخالص والود الصحيح » .

بقى « فروبل » فى مدرسة « جرُونر » سنتين كاملتين نجح فيهما نجاحًا باهراً وحقق ظن رئيسه به ، اذ برهن على كفاية نادرة واستعداد غريب لصناعة التعليم ، حتى لقد أصبح تلاميذه أحسن تلاميذ المدرسة علمًا وأدبًا وذكاء ونشاطًا ، إلا أنه لم يكتف بهذا النجاح الذى أحرزه ولم يرض إلا أن يعد نفسه لهـذه الصناعة إعداداً خاصًّا ، فصحت عزيمته على أن يذهب الى « بستالوتزى » ليأخذ عنه طرائقه ومذاهبه فى التربية ، فمضى اليه فى « ڤردون » سنة ١٨٠٨ ومضى معهُ ثلاثة أطفال عهد اليهِ

بتربيتهم فى أية قرية يختار من قرى الريف ، فأقام معهم فى صحبة هذا البطل العظيم سنتين كاملتين كان فيهما كما قال عن نفسهِ معلماً وتلميذاً معاً . ومما قاله فى ذلك :

«كانت تجاربى واسعة فى «ڤردون» فقد درستُ هناك لُعَبَ الأطفال ، وخبرت جملة كبيرة من الألاعيب التى يلعبونها فى الهواء الطلق ، وعرفت ما لها من الأثر الشديد فى إيقاظ القوى الفكرية وإنماء الأرواح والأبدان» . ولا يسعنا تلقاء اعترافهِ هذا إلاّ أن نضم أصواتنا الى أصوات القائلين بأن روضات الأطفال مدينة بوجودها الى بستالوتزى . فهو أول من أوصى بها ونبه الأفكار عليها وان كان فضل العمل والجهاد فى إخراجها وإبرازها على الصورة البديعة الناضجة المعروفة الآن يرجع الى بطلنا العظيم ولهلم فروبل .

هكذا كانت رحلته الى « ڤردون » ذات فوائد جمة فقد اكسبته خبرة واسعة بأعمال التربيــة ، وزادت فى ميله وحبهِ لصناعة التعليم ، ووقفتــهُ على مذهب بستالوتزى وطرائقهِ الحديثة ، وقوّت إيمانه بهذا المربى قوة دعتهُ الى اقتفاء أثره وانتهاج طريقته وأخْذ اللباب من مذهبهِ ، ولكن بعد أن هذبهُ وأدخل عليه من وجوه الإصلاح ما جعله مذهباً جديداً ينسب اليهِ .

دراسته فى جامعتى جوتنبرج وبرلين

فى سنة ١٨١٠ عاد « فروبل » مع تلاميذه الثلاثة الى مدينة فرانكفورت ، ولما كان قد عاهد أباهم أن يتولى تربيتهم ثلاث سنوات كاملة ، لم ير بدًّا من الوفاء بالعهد الذى قطعه على نفسه والبقاء معهم الى آخر مدتهم . ولما انقضت هذه المدة فى شهر يوليو سنة ١٨١١ أسرع الى جامعة جوتنبرج وانتظم فى سلك طلابها ليزيد فى معارفه ، وليعد نفسه إعداداً كاملاً للعمل الذى وهب نفسه له ، فأقام بها حيناً يدرس اللغات والعلوم الطبعية ، ثم انتقل الى جامعة برلين حيث أقبل على التنقيب والبحث فى التاريخ الطبعى وعلمى المعادن وطبقات الأرض ، فوصل فى هذه العلوم الى غاية بعيدة .

وفى سنة ١٨١٣ أجاب داعى الوطن ، فانخرط فى زمرة الجيوش البروسية التى

جاهدت فى سبيل الحرية وقاتلت الغازى العظيم نابليون بونابرت . وانا لا نريد أن نتعرض لحياته الجندية فى شىء إلاَّ من جهة صلتها بأعماله فى التربية ، فقد كان لها أثر كبير فى انضاج آرائه وتهذيب مبادئه وإخراجها إلى دائرة العمل . ذلك أنهُ عرف هناك شابين مهذبين من الجنود المتطوعة كان لهما اهتمام شديد بأمور التربية وشغف عظيم بسماع آرائه فيها ، فكانوا يجلسون جميعًا بالقرب من نار المعسكر ليلاً ويتجاذبون أطراف الأحاديث ويناقشون مسائل التربيـة والتعليم . ولقد وقعت مبادئه من هذين الشابين أحسن وقع فشجعاه وكانا له فيما بعد خير معين على نشر مذاهبه وتحقيق أمانيه . ذانكم الشابان هما « وِلْهلم مِدِنْدُورْف » و « هِنرِيخ لَانجثول » طالبان من الطلاب النابغين فى جامعة برلين .

أولى مدارسه

فى سنة ١٨١٦ عاود فروبل صناعة التعليم ، فأسس مدرسة فى « جْرِيشيم » وسماها المعهد العلمى الألمانى العام ، ولم يكن بهذه المدرسة عند تأسيسها من المعلمين سواه ، كما لم يكن بها من التلاميذ إلاّ خمسة هم أولاد أخويه ، وقد أخذ يعلمهم على طريقته الخاصة ومبادئه التى ارتضاها فى التربية . وفى سنة ١٨١٧ حضر اليه صديقه « مِدِنْدُورْف » وأتى معهُ بتلميذ سادس ، ولم تمض إلاّ شهور قليلة بعد ذلك حتى وافاهما صديقهما الحميم « لَانجثول » فاشتركوا جميعًا فى العمل . وقد زاد عدد التلاميذ فى المدرسة فبلغوا اثنى عشر تلميذاً .

انتقاله بمدرسته الى كيلهو

فى سنة ١٨١٧ انتقل فروبل بمعهده إلى « كيلهو » وهى قرية بالقرب من رُودلْسْتات فى غابة تورنجيا الشهيرة . وقد لاقى هناك فى أول الأمر صعوبات مالية شديدة ألجأتهُ فى كثير من الأحيان أن يعيش هو وتلاميذه ومساعدوه عيشة خشنة . ولكنهُ على الرغم من ذلك ثابر على العمل ، وشد أزره فى ذلك صديقاه ، وعاوناه بكل ما فيهما من حول وقوة .

وقد كان ذلك الى سداد طرائقه وصائب آرائه التى سار عليها فى التربية سببًا فى

نجاح المعهد وانتاجه النتائج الباهرة المدهشة حتى أقبل عليه التلاميذ من كل حدَب ، فضاق بهم المكان على سعته ، وتوافر لديه المـال ، و بذلك استطاع هو ومن معه أن يعيشوا عيشة أرغد وأنعم من عيشتهم فيما قبل .

أما نظام المدرسة فقد كان سديداً ومرعيًّا كل الرعاية ، وكانت العناية بنظافة التلاميذ وأماكن الدراسة بالغة غايتها ، ولم تكن هناك من عقوبة متبعة فى الغالب سوى نقص وظائف المذنبين وقت الغداء ، وقد كانت هذه العقوبة على سهولة احتمالها كافية لردع التلاميذ وتقويم أخلاقهم . أما العطلات المدرسية فكانت قصيرة وقليلة حتى لقد كان التلاميذ يقيمون فى المدرسة سنوات عدة من غير أن يذهبوا الى أوطانهم ، إلاّ أنهم فى شهور الصيف كانوا يخرجون الى الغابات والحقول كثيراً مع المدرسين ليدرسوا أنواع النبات وصنوف الأزهار و يتأملوا مشاهد الطبيعة .

مكث فروبل رئيسًا لهذا المعهد أربعة عشر عامًا جاهد فى أثنائها جهاد الأبطال حتى بلغ المعهد على يديه من النجاح مبلغًا عظيماً ، وكثر تلاميذه حتى نيف عددهم على الستين . وكانوا جميعًا يُعَدُّون فى هذا المعهد للدخول فى الجامعات . وقد وصلوا من صحة الأبدان وكمال الأخلاق الى غاية لم تجد معها الأمراض ولا العادات السيئة اليهم سبيلاً . أما هو فقد استطاع فى هذه المدة أن يُخْرج آراءه وأفكاره مخرجًا عمليًّا ، وقد قوّي ايمانه بها ذلك النجاحُ الباهرُ الذى ظهرت آثاره فى التلاميذ ، إلا أن ذلك النجاح — وا أسفاه — لم يدم طويلاً ، فقد نشأت فى ألمانيا بعد انتصارها على بونابرت حركة ثورية عنيفة هاج فيها الشعب وثار على حكومته ، طالبًا تبديلَ دستورها وقَلْبَ نظامها . فكانت روعة الحكومة من هذه الحركة شديدة وخوفها منها عظيماً ، حتى أخذت تنزعج لكل جديد وتضطرب لكل فكرة حديثة ، وحدث من جراء ذلك أن نظرت الى هذا المعهد بشيء من الريبة ، وظنت فيه ظن السوء ، فاعتقدته دسيسة من دسائس الثورة وقلبِ النظام . وهى تهمة فاسدة لا نصيب لها من الحق ، فإن فروبل لم يكن مع الثائرين ، ولم يَرُم الخروج على حكومته ، ولم يقصد الى إحداث انقلاب فى أى شيء سوى أعمال التربية ومبادئها . على أن الحكومة لما أرادت أن تتثبت من أمر هذه المدرسة

أرسلت اليها بعثة لتفتيش أعمالها والبحث عن أغراضها ومقاصدها ، فأثبت التقرير براءة المدرسة مما اتُّهِمَتْ به على غير حق . ولكن على الرغم من ذلك لم ترتح اليها الحكومة ، ولم تنظر اليها نظرة رضًا ، فَحَذِرَهَا الأهلون وانبعث الرعب الى قلوبهم ، وأخذوا يخرجون أولادهم منها تباعًا حتى لم يبق فيها من التلاميذ فى آخر الأمر إلا خمسة لا غير . لم ير فروبل تلقاء هـذه الفادحة العظيمة الا أن يغادر كيلهو و يترك مدرسته لزملائه يديرونها كما يشاءون ، فغادرها سنة ١٨٣١ وذهب الى حيث يلتمس المساعدة من اخوانه وأصدقائه .

وفى أثناء اقامته فى كيلهو أقبل على التأليف رغبة فى نشر مبادئه وتنبيه الناس على أعماله فى مدرسته ، فألف كتابه الشهير الذى سماه « تربية الانسان » وهو أعظم كتبه وأنفسها . وكتب رسائل ومقالات أخرى ساعدت على اعلان مذهبه ، الا أنه لم يكن من الكتاب القادرين ، فقد كان أسلوبه جافًا معقداً لا يفصح عما تحته من المعانى ، ولذلك لم يقبل على قراءة كتبه الا الخاصة من الناس وقليل ما هم .

أول روضة للأطفال

بعد تجارب طويلة رأى فروبل أن التربية فى المدارس لم تزل بعـد الغاية التى وصلت اليها واهنة الأساس قليلة النفع ، وأنه لا سبيل الى إصلاحها الا بإصلاح حضانة الأطفال وتربيتهم تربية تلائم طبائعهم وتوافق غرائزهم . لذلك أقبل على النظر فى التربية الأولية ، فدرس ما كتبه كومنيوس عن مدارس الأطفال الصغار وتفهم آراءه وأفكاره فيها ، وتأمل أعمال بستالوتزى وما وصل اليه فى هذا الشأن ، ثم راقب الأطفال عن كثب وتبصر فى أحوالهم وطبائعهم جميعًا ، فوجد فيهم ميلاً الى الحركات الجثمانية ، وابتهاجًا باللعب ، وغرامًا باستخدام حواسهم فيما يحيط بهم من الاشياء ، واهتدى الى ما فيهم من حب الاطلاع والتملك والشغف بحل الأجسام وتركيبها ، واستعان بذلك كله على ابتداع نوع من حضانة الأطفال تلعب فيها الميول السابقة دوراً ، وتستمال فيها الغرائز إلى إصدار آثارها فى جهات نافعة للتعليم ناهضة به . ولما صحت عزيمته على ابراز

فكرته و إخراجها مخرجاً عملياً ، عمد إلى مصنع من مصانع البارود المهجورة فى «بلاكنبرج» وهى مدينة قريبة من كيلهو فأسس فيه أول روضة للأطفال[1] ، وأسس معها قسما صغيراً لإعداد طائفة من الشوابّ ليكنّ فى المستقبل حاضنات ومعلمات لصغار الأحداث ، ثم عمد بعد ذلك لإذاعة أمرها بين الناس علّه يجد فيهم من يعاضده و يناصره على النهوض بها إلى الغاية التى يرجو لها ، فأنشأ لذلك الغرض صحيفة أسبوعية يصف فيها أعمال المدرسة ونظام التربية فيها ، وأخذ يخطب الناس و يلقى المحاضرات ينشر بها آراءه ومبادئه . وفى مايو سنة ١٨٤٠ حين كانت المدرسة فى حاجة شديدة إلى المعونة المالية ، نشر على الناس كتاباً يستمدى فيه أكف المحسنين ، الا أنه على الرغم من صبره وجهاده لم يجد من المعاضدة المالية ما يسد حاجة المعهد ، فاضطر الى إغلاقه سنة ١٨٤٤ . وقبل إغلاقه بسنة نشر كتاب أغان وصور للأمهات والأطفال الصغار ، فكان أحب مؤلفاته إلى الناس وأكثرها أثراً فى نشر دعوته بما حواه من الخطط السديدة والآراء الرشيدة .

محاضراته وأثرها فى نشر مبادئه

لما منى فردريك فروبل بالفشل فى مدرسته هذه ، عَمَد لنشر دعوته من طريق المحاضرات ، فطاف فى ألمانيا وحاضر فى جهات كثيرة منها ولاقى من الناس إقبالاً عظيماً . وبعد سنوات خمس قضاها على هذه الحال دُعِى الى تأسيس روضة للأطفال

---

(١) لم يهتد فروبل الى تسمية مدرسته بهذا الاسم الا بعد سنوات عدة من مبدأ تأسيسها ، وقد كان اهتداؤه الى ذلك بطريق الالهام بعد حيرة شديدة واجهاد فكرى عظيم . ولقد قص صديقه وزميله « باروف » حكاية اهتدائه الى هذا الاسم فقال « مضت أزمان طويلة لم يوفق فيها فروبل الى اسم يرتضيه ويطمئن اليه ، حتى كنت أنا وهو وصديقنا مدندورف نتمشى جميعا بين الحقول والمزارع وكنا فى طريقنا الى بلاكنبرج ، ومدندورف يحدثنى وأحدثه ، وهو لاه عنا لا يصغى الى شىء من حديثنا ، ولقد لحظناه طول الطريق مفكراً يردد قوله : « آه لو أنى أوفق الى اسم ملائم أدعو به معهدى » ولبثنا كذلك مدة طويلة حتى اقتربنا من المدينة ، وبينا نلحظه سابحا فى تصوراته غارقا فى تأملاته ، اذا به قد وقف فجأة وثبت فى مكانه كأنما سمر الى الارض وقد لمعت عيناه وصار لهما بريق شديد ، ثم صاح بين الجبال صيحة شديدة كان لها دوى عظيم وقال بأعلى صوته « لقد اهتديت اليه . روضة الاطفال . هذا هو الاسم الذى سأدعو به معهدى » .

فى « لِيبِنْزِتين » ، وهى قرية فى غابة تورنجيا ، وهنا عَرَفَ سيدةً من فضليات النساء كانت له أكبر نصير فيما بقى من حياته . تلك هى « برثا بارونة مارِنْهُلْتز بِلُو » . وقد استطاعت هذه السيدة بما لها من النفوذ العظيم والشغف بأمور التعليم أن تشد أزره وتعاونه فيما قصد اليهِ من الأعمال ، فاستأجرت له فى سنة ١٨٥٠ قصر مارنثول ليتخذه مدرسة للفرق التى كان يمرنها على أعمال التربية وحضانة الأطفال . ودعت اليهِ كثيراً من نبلاء البلاد وأعيانها وذوى النفوذ الواسع فيها ليزوروا معهده ويروا أعماله وطرائقه ، ومن أعمالها فى هذا السبيل أن نشرت بعد مماته مقالاً مسهباً وصفت فيهِ أعماله وجهوده فى السنوات الثلاث عشرة الأخيرة من حياته .

لم يكد فروبل ينتعش بهذه المساعدات التى أتته على يد هذه السيدة ، حتى روَّعته الحكومة بقرار قضت به على نظام روضات الأطفال قضاء مبرماً ، وتفصيل ذلك ان ابن أخيه كَارْل فروبل كان قد نشر مؤلفات له فى التربية وضمنها كثيراً من آرائه الاشتراكية وعقائده الإلحادية ، ففزعت لها الحكومة والتبس عليها الرجل بابن أخيه على الرغم من تباينهما فى الرأى والفكر والعقيدة ، فأمرت من فورها بإغلاق روضات الأطفال فى كل أنحاء المملكة ، فارتاع لهذا القرار « فردريك فروبل » وارتاع معهُ أصحابه ، وهبُّوا جميعاً يدفعون التهمة عن أنفسهم ، ويعملون على إقناع وزير المعارف فى ألمانيا بأن هذه المؤلفات التى نشرت لم تكن له ، وأن الحكومة قد أخطأت إذ تشابه عليها الاسمان فلم تفرق بين الرجل وابن أخيه ، إلاّ أن ذلك لم يجدهم نفعاً . كذلك لم يجدهم أن أرسل فروبل جميع مؤلفاته ورسائله ومقالاته الى برلين ، ليبرهن للحكومة على أن آراءه ومبادئه لم تكن فيها شائبة من شوائب الإلحاد أو الخروج على الحكومة . كذلك لم يغنهم أن رفعت « بارونة مَارِنْهُلْتز بِلُو » ظلامته الى الملك ودافعت عنهُ بكل ما فيها من حماسة واقتدار . لم ينفعهُ أيضاً أن اشترك عدد وفير من المعلمين من جهات وأصقاع مختلفة فى الاحتجاج على ما نزل بصاحبهم من الظلم والإجحاف . حدث كل ذلك ولكنَّ الحكومة صمَّت آذانها فلم تسمع للشاكين ظلامة ولا للعاتبين ملامة . ولما ضاع أمله فى إنصاف حكومتهِ ، وخاب رجاؤه فى عدلها وإصاختها لشكواه غالبه الحزن حتى قضى عليهِ فى مرنتول سنة ١٨٥٢ .

آراؤه ومبادئه فى التربية

ليس المجال فسيحًا هنا لتفصيل آرائه الدينية والفلسفية ، ولذلك نقتصر على تلخيص الآراء والمبادئ التى اتخذها أساسًا للتعليم فى روضات الأطفال :

(١) العقل وحدة بذاتها وليس مقسما الى قوى مستقلة[١]

(٢) أُعِدَّت التربية لمعاونة الطبيعة على الوصول بنشأة الطفل الى الغاية المقدرة لها .

ولما كانت الطبيعة تبتدئ عملها فى نشأة الطفل عند أول نفس ينشقه ، وتستمر الى آخر نفس يلفظه ، وجب أن تسير معها التربية جنبًا الى جنب ، وأن يؤخذ بها الطفل من أول يوم فى حياته الى آخر يوم منها . غير أنه لما كان نجاح النشأة بأكملها موقوفًا على قوة بداءتها ، وجب أن تكون العناية بالتربية فى أول أدوار الحياة تفوق كل عناية أخرى .

(٣) الطفل تتنازعه عوامل ثلاثة فهو ابن الطبيعة وابن الإنسان وابن الله . لذلك يجب أن يكون الغرض من تربيته تمكين رابطته بكل واحد من هذه العوامل الثلاثة ، ومعاونته على إدراك هذه الرابطة وهو فى طفولته حق الإدراك .

(٤) يجب أن يكون للمربى خبرة واسعة بطبائع الأطفال .

(٥) يجب أن يلجأ فى إنماء قوى الأطفال الى الأعمال الاختيارية الشائقة[٢] .

(٦) السرور عامل قوى من عوامل نمو الأبدان والأرواح[٣] .

---

(١) كان الاقدمون من علماء النفس يقولون بتجزئة العقل الى قوى مستقلة مختلفة لكل واحدة منها عمل خاص لا يشترك فيه سواها ، ولقد كان فروبل من الطائفة التى سخرت من هذه المعتقدات وقررت أن العقل الانسانى وحدة لا تقبل التجزئة ، وأن كل عمل من الاعمال النفسية انما يصدر عن مجموع العقل لا عن جزء من أجزائه أو قوة خاصة من قواه ، فهو أشبه شىء بآلة تشترك جميع أجزائها فى كل عمل تقوم به قل أو كثر .

(٢) الاطفال يميلون بطبائعهم الى العمل كما قدمنا ، واللعب هو أول مظاهر هذا الميل فيهم ، ولما كان من الواجب أن يتخذ من أساليب التربية ما يلائم طبائعهم ، وجب أن تصاغ أعمال التربية الاولى فى صور الالعاب مرتبة ترتيبا خاصا يساعد على انماء القوى الجسمية والعقلية والخلقية معا . فترتيب المكعبات ، وتكوين الصور ، وتشبيك الاعواد ، ونظم الخرز ، وطى الورق ، وعمل السلات والاقفاص وانشاد الشعر موقعا على الموسيقى ، والحركات النظامية فى المشى والجرى والوثب ، الى غير ذلك مما هو مألوف معروف فى روضات الاطفال ، كلها ألاعيب وأعمال معدة لتصريف غرائز الاطفال ، وتوجيه نشاطهم الى جهات نافعة فى انماء قواهم الجسمية والعقلية والخلقية .

(٣) فعلينا أن نبذل الوسع فى جعل أساليب التعليم جذابة شائقة ، وألا نقدم الى الاطفال من الاعمال الا ما يبعث فيهم السرور ويملأ قلوبهم غبطة وسعادة . ولما كان اللعب اكبر وسائل السرور عندهم وجب أن ندعوهم اليه فى كل وقت وحين ، وأن نعول عليه فى تأديبهم ، ونتخذه وسيلة إلى تقويم أبدانهم وأرواحهم

(٧) يجب أن يؤسس التعليم على المعاينة والمشاهدة .

(٨) يجب أن تكون الدروس قصيرة ومتنوعة .

(٩) لن تكون التربية كاملة حتى ينظر فيها الى حياتى الطفل الفردية والاجتماعية معاً [١] .

(١٠) يجب أن تعمل التربية على إنماء القوى الجسمية والعقلية والخلقية فى آن واحد.

روضات الأطفال

هى مدارس موضوعة لتربية صغار الأحداث بين الثالثة والسابعة من أعمارهم ، وهى حسنة من حسنات فروبل وثمرة من ثمار أفكاره ، وعمل من أنبل اعماله فى التربية ، نعم إن لبستالوتزى فضل السبق فى إبداع فكرتها ورسم خطتها وتوجيه العقول اليها ، إلا أنهُ تركها ناقصة غير ناضجة ليس لها غايات واضحة ولا أنظمة ثابتة . أما فروبل فهو صاحب الفضل الأكبر فى تكوينها وتهذيبها وتنسيق أعمالها وسن نظمها وابرازها فى تلك الصورة التامة الكاملة التى نعهدها الآن ، فلا غرو أن نسبت اليهِ وعدت من أعماله وثمار أفكاره .

وللتعليم فى هذه المدارس أساليب خاصة تخالف أساليبه فى المدارس الأخرى ، فقد قضى نظامها أن يصاغ التعليم فيها على صور ألعاب يشتاقها الأطفال ويميلون اليها بفطرتهم ، بحيث لا يشعرون فيها أنهم يؤخذون بتربية أو تعليم ، فهم يقضون جميع أوقاتهم هناك فى لهو ولعب ، فرحين بما يأتون من الحركات ، مغتبطين بما يسدى اليهم

---

(١) اتفق روسو وفروبل على وجوب العناية بحياة الطفل الفردية من حين ولادته ، وأوجب كلاهما أخذه بالالعاب والاعمال الحرة التى يميل اليها بفطرته والتى تساعد على نمو جسمه وعقله . أما الحياة الاجتماعية فلم يأبه لها روسو فى أدوار الطفولة الاولى ، بل ذهب الى اغفالها وأوجب أن يجنب إميل معاشرة الناس ، وأن يرسل بعد ولادته الى قرى الريف لينشأ بين أحضان الطبيعة بعيداً عن الرفاق والاصحاب الذين يكسبونه الشر وذميم الاخلاق . أما فروبل فيراعى هذه الحياة الاجتماعية أشد المراعاة ، ويذهب الى أن كمال الاخلاق غير ميسور لمن لا يعاشر الناس ويخالطهم ، فانكار الذات ولطف المعاملة والرحمة والاناة والحلم واحترام الآراء ، كلها فضائل لا تغرس فى النفس الا بالمخالطة والمعاشرة . ومن أجل ذلك ابتدع فى رياض الاطفال أنواعا من اللعب يشترك فيها التلاميذ ويتعاونون عليها جميعا .

من « الهدايا » ، مبتهجين بما يُشَجَّعون عليهِ من عمل الغرائز وسد رغبات النفوس .

هذه هى طريقة التعليم فى روضات الأطفال ، وهى طريقة ظاهرها لهو ولعب و باطنها عمل وجد ، فإن الحركات والألاعيب التى يأتيها الأطفال لم يقصد بها إشباع الرغبات وسد أطماع النفوس فحسب ، ولكنها مختارة لغايات تهذيبية ومرتبة ترتيبًا يكفل نمو الأجسام وشحذ الأذهان وتحسين الأخلاق .

أغراض التربية فى روضات الأطفال

ليس افضل فى بيان هذه الأغراض من أن نسوق الى القارئ عبارة فروبل فانها صريحة وافية ، قال : « إن الغايات التى ترمى اليها روضات الأطفال هى رعاية الأحداث وتدبير شئونهم فى السنوات الأولى من أعمارهم ، وتأهيلهم للحياة المدرسية التى تأتى بعد ، والعملُ على إنماء قواهم الجسمية ، وتمرين حواسهم ، و إيقاظ مداركهم ، و إقدارهم على تعرف مظاهر الطبيعة حولهم ، ووقفهم على أسرار الاجتماع والتعاون على الأعمال ، وتوجيه نفوسهم الى النافع الصالح فى الحياة ، وتمكين رابطتهم بالله وغرس محبته فى قلوبهم» . و بذلك نرى أن هذه المدارس ترمى إلى إنماء الجسوم و إيقاظ العقول و إحياء القلوب بمحبة الله ، لا إلى حشو الرءوس وملء الحوافظ بمسائل العلوم وقضايا الفنون .

أعمال التربية ووسائلها فى روضات الأطفال

يرى فروبل أن التربية الصحيحة هى ما كانت مؤسسة على تمرينات عملية متنوعة تنمى فى الأطفال جميع القوى الكامنة جسمية وعقلية وخلقية ، وقد وضع لهذا الغرض أصولاً عشرة أوجب السير عليها والعمل بها فى روضات الأطفال . وها هى ذه :

(١) تقوية المشاعر الدينية فى الأطفال ، وسبيل ذلك تعليمهم بعضًا من الأقوال الدينية الخاصة بالطبيعة والإنسان وصلتهما بالخالق جل شأنه ، يحفظونها عن ظهر قلب ويرددونها فى صلواتهم .

(٢) العناية بالجسم و إنماء قواه ، وسبيل ذلك أخذه بمنهج مدرج من تمرينات الرياضة البدنية كالحركات النظامية فى المشى والرقص .

(٣) التأمل فى مشاهد الطبيعة ، و يبتدئ هنا الأطفال بأقرب الأشياء اليهم ، ثم ينتقلون الى ما يليه فى القرب وهلم جرا . ومن الوسائل النافعة فى ذلك حديقة المدرسة ومتحفها والرحلات المدرسية .

(٤) حفظ ما يليق من الأشعار والأغاني القصيرة التى لها مساس بالطبيعة وأحوال المعيشة .

(٥) دراسة اللغة بتمرينات قصيرة فى المحادثة يؤخذ بها الأطفال ، على شرط ألا يكون الغرض الأصلى منها تزويدهم بالمعارف و إن حصل ذلك فعلاً .

(٦) تدريب الأطفال على تمثيل الأشكال الطبعية والصناعية بعمل ما يماثلها من الورق المقوى والخشب والطين واتخاذ ذلك وسيلة لتمرين اليد والعين والخيال .

(٧) تدريبهم على تمثيل الأشكال الطبعية والصناعية بخطوط يرسمونها على الورق المقسم إلى مربعات .

(٨) دراسة الألوان ، وسبيل ذلك أن يدربوا أولاً على التمييز بين الألوان المختلفة ، ثم على التمييز بين الألوان المتشابهة ، وذلك كأن تُعْرَضَ عليهم جملة خيوط مختلفة الألوان ، ثم يؤمروا أن يستخرجوا من بينها الخيوط التى لها لون خاص يسمى لهم ، أو أن يميزوا الخيوط التى تتشابه ألوانها ، إلى غير ذلك من التمرينات المختلفة فى دراسة الألوان .

(٩) اللَّعِب والغناء ، وهما إما أن يكونا مصحوبين بالنغمات الموسيقية أو غير مصحوبين .

(١٠) دروس الأقاصيص والنوادر الخرافية والحكايات التى ترد على ألسنة الحيوان ، ومن شروطها أن يشار فيها إلى أحوال المعيشة الحاضرة ومشاهد الطبيعة التى يراها الأطفال كل يوم ، وأن تكون مناسبة لفصول السنة وحوادث اليوم .

هدايا فروبل

لتسهيل العمل بالأصول السابقة ولتربيـــة الأطفال تربية تساير غرائزهم وتوافق طبائعهم ، ابتدع فروبل جملة من اللُّعَب سماها الهدايا ، ونصح باستخدامها فى روضات

الأطفال . وهى إن أحسن المربون استعمالها واستخدموها للغايات التى قصدها واضعها أتت بنفع عظيم وخير جزيل ، فانها إذ ذاك تساعد على إنماء قوى الانتباه والملاحظة والخيال فى الأطفال ، وتقدرهم على استعمال أيديهم وحواسهم استعمالاً صحيحًا دقيقًا ، وتعينهم على إدراك الأشكال والألوان والجهات والأبعاد والمسافات وغيرها من صفات الأجسام وخواصها . وعدد هذه اللعب أو الهدايا عشرون ، وهى مرتبة ترتيبًا يقضى بالانتقال من البسيط إلى المركب ، ومن المعلوم الى المجهول ، ومن الكل الى الأجزاء ، ومن تمثيل الأشياء تمثيلاً مجسماً إلى تمثيلها تمثيلاً تخطيطيًّا . و إليك هذه الهدايا على ترتيبها :

(١) الهدية الأولى : وهى مكونة من ست كرات من الصوف مختلفة الألوان ، ثلاث منها ملونة بالألوان الأصلية ، وهى الأحمر والأصفر والأزرق ، وثلاث بالألوان الفرعية وهى البرتقالى والأخضر والبنفسجى . وانما اختيرت الكرة لتكون أولى اللُّعَبِ أو الهدايا لأنها أقل الأجسام تعقيداً وتركيبًا ، إذ ليس لها زوايا ولا سطوح مختلفة ، ولأن منظرها لا يختلف من أى جهة نظرت اليها . والغرض الأصلى من هذه اللُّعبة تعليم الأطفال الألوان والجهات وكثيراً من خواص الأجسام ككون الشىء ثقيلاً أو خفيفًا ناعمًا أو خشنًا يابسًا أو رخواً ، ثم تمرين أطرافهم على الحركة فى الجهات المختلفة ، وأخذهم بكثير من العادات الطيبة والأخلاق الحميدة كحب التآلف والرغبة فى التعاون على الأعمال ، وكبغض العزلة والانفراد .

(٢) الهدية الثانية : وهى مكونة من كرة وأسطوانة ومكعب وكلها مصنوعة من الخشب . والغرض منها أن يتعلم الأطفال ما للأجسام من الأشكال المختلفة ، وأن يدربوا على الملاحظة الصادقة والتأمل فيما حولهم من الأشياء ، وأن يؤهلوا لدراسة الهندسة والرسم

(٣) الهدية الثالثة : وهى مكونة من مكعب كبير مقسم الى ثمانية مكعبات صغيرة متساوية يعدها الأطفال و يرتبونها على أشكال متنوعة ، و يبنون منها أمثال الأبواب والشبابيك والقلاع . ومن هنا كان الصندوق الذى تحفظ فيهِ هذه اللعبة يسمى صندوق البناء الأول .

والغرض من هذه الهدية تعليم الأطفال العدّ والجمع والطرح والضرب والقسمة ومبادئ الكسور ، وتربية الأذواق السليمة فيهم بما يأتونه من ترتيب هذه المكعبات وتنسيقها على أشكال متنوعة ، وتقوية روح الاختراع بما يبتدعونه من الأعمال التي يدفعهم اليها الخيال، وغرس كثير من الأخلاق الفاضلة فى النفوس كحب العمل والاعتماد على النفس .

(٤) الهدية الرابعة : وهى مكعب كبير مقسم الى ثمانية مستطيلات ، كل مستطيل منها طوله ضعفا عرضه ، وعرضه ضعفا سمكه ، ويسمى صندوق هذه الهدية صندوق البناء الثانى

وأغراض اللعبة الثالثة تأتى جميعها هنا ، ويزاد عليها تأهيل الطفل لتلقى دروس راقية فى الرسم والهندسة ، وتعويده التدقيق فى العمل والتحرز من الخطأ ، فإن بعض الأعمال التى يكلفها الطفل هنا تستدعى وضع المستطيلات بترتيب خاص بحيث إذا وُضِع مستطيل مكان آخر فَسَد العمل جميعه .

(٥) الهدية الخامسة : وهى مكعب كبير مقسم الى سبعة وعشرين مكعباً صغيراً ثلاثة منها مقسمة إلى أنصاف ، وثلاثة أخرى الى أرباع، فتكون القطع جميعها ٣٩ قطعة . والغرض من هذه اللعبة أن يتوسع المعلم مع التلاميذ فى دراسة الأعداد والأشكال ، وأن يقدم اليهم سلسلة مطولة من التمرينات البنائية . وتحفظ هذه اللعبة أيضاً فى صندوق يسمى صندوق البناء الثالث .

(٦) الهدية السادسة : وهى مكعب مقسم الى سبعة وعشرين مستطيلاً ، ستة منها مقسمة أنصافاً بحيث يتكوّن منها اثنا عشر مكعباً ، وثلاثة مقسمة طولاً بحيث يتكون منها ستة أعمدة ، فتكون القطع جميعها ٣٦ قطعة .

والغرض من هذه اللعبة التوسع فى تمرينات العد والهندسة وأعمال البناء ، ويدعى صندوقها صندوق البناء الرابع .

(٧) الهدية السابعة : وهى مكونة من خمسة صناديق مملوءة قطعاً خشبية رقيقة تمثل أشكالاً هندسية مختلفة وألوانها متباينة ، فالصندوق الأول مملوء مربعات ، والأربعة الباقية مملوءة مثلثات مختلفة الأشكال .

والغرض منها تزويد الطفل بكثير من المعارف الهندسية ، وتوسيع دائرة علمه بالأشكال والألوان ، وأخذه بأعمال الزخرفة التى تساعد على تربية ذوقه وتهذيب خياله

(٨) أعواد يرتبها الأطفال ترتيباً خاصاً ليمثلوا بها الرسوم المكونة من خطوط مستقيمة ، ولا بد من التدرج فى هذه التمرينات من السهل الى الصعب .

(٩) حلقات كاملة وأنصاف حلقات ، وقد جرت العادة أن يوجد من النوع الأول ٢٤ حلقة ، ومن النوع الثانى ضعف هذا العدد ، وهنا يبتدئ الطفل العمل بحلقة ونصف حلقة لا غير ، ويتدرج فى العمل مستخدماً عدداً أكثر حتى ينتهى باستخدام جميع ما عنده فى تكوين شكل واحد . وبهذه الهدية يعرف الطفل الخطوط المنحنية والدوائر وأنصاف الدوائر ، ويتسع أمامه المجال للتنويع والافتنان فى تكوين الأشكال .

(١٠) أدوات للرسم .

(١١) أدوات لتثقيب الورق .

(١٢) أدوات للتطريز والزركشة .

(١٣) أدوات لتقطيع الورق الى قطع صغيرة تُكوَّن منها أشكال مختلفة .

(١٤) أدوات للنساجة والضفر .

الهدايا الخامسة عشرة والسادسة عشرة والسابعة عشرة : وهى مكونة من

(١٥) مواد للضفر والجدل والتشبيك ، وهى إما شرائح خشبية رقيقة مارنة تشبه

(١٦) خوص النخل ، وإما شُقَق من الورق مستطيلة تشبه الشرائح السابقة ،

(١٧) يأخذها الطفل ويجدلها جدلاً خاصاً ويكون منها أشكالاً مختلفة مدرجة مستعيناً بإرشاد المعلم ونماذجه .

(١٨) أدوات لطى الورق .

(١٩) أسلاك رفيعة وحِمَّص منقوع ، لتكوين أشكال متنوعة بإدخال الأسلاك فى الحب على نظام خاص .

(٢٠) طين رخو سهل التشكيل لعمل صور ومُثُل متنوعة .

هذا ولا متسع هنا للكلام على هذه الهدايا وإيفائها ما تستحق من الشرح والبيان ،

وقد وضع كثير من المربين والمربيات فى أوروبا وغيرها كتبًا واسعة فى أغراض هذه اللُّعَب وطرق استعمالها ، واستعانوا على إيضاحها بالرسم والتصوير .

وجوب اسناد التربية فى رياض الاطفال الى النساء

رأى كثير من المربين أن تسند تربية الأحداث الصغار الى النساء ، وكان فروبل من أسبقهم الى ذلك الرأى وأشدهم إيمانًا به ، لأن فى النساء ما ليس فى الرجال من الخلائق والطباع التى تساعد على حضانة الأطفال وتدبير شئونهم ، فهنَّ أصبر على تعليلهم وأملك لقلوبهم من الرجال ، وهن أرق جانبًا وأعطف قلبًا وأرحب صدراً ، وما أقرب طباعهن من طباع الطفولة وأسهل امتزاج أرواحهن بأرواح الأحداث الصغار ! قال فروبل « إن أزمَّة الممالك معقودة بنواصى الأمهات ، ومستقبلَ الشعوب رهن بأيدى النساء ، فهن أبلغ تأثيراً فى إنهاض الأمم من الغزاة الفاتحين ، ولذا كان واجبًا علينا أن نعطى المرأة حظها وافراً من التهذيب والتعليم ، لتستطيع بذلك أن تخرج لأمتها رجالا مهذبين يقومون بواجبهم فى نصرة الوطن وإعزازه » .

فردريك وهلم فروبل
١٧٨٢ - ١٨٥٢

وقد رأى فروبل أن النساء خير من يُعنَّه على الإصلاح الذى أراده ، فدعاهن الى معاونته ومناصرته ، فأجبنه وحققن أمله وكن له عونًا على ما أراد واليهن يرجع الفضل فى نشر دعوته وإذاعة مبادئه الإصلاحية فى القارتين الأوربية والأمريكية .

التربية المنزلية لا تغنى عن روضات الاطفال

اتفق كثير من المربين على أن تسند تربية صغار الأحداث الى النساء كما بينا فيما مضى من القول ، الا أنهم اختلفوا فيمن يتولى من النساء هذه التربية ، أتتولاها الأمهات فى المنازل أم غيرهن من النساء فى المدارس ودور التعليم ؟ فمن ذهب الى أن الحدث تابع لأسرته ولا علاقة له بالحكومة ، يرى أن تتولى الأم تربيته فى المنزل ، وزعيم هذا المذهب بستالوتزى . ومن ذهب الى أن الولد تابع للحكومة لا للأسرة أوجب على الحكومة أن تتولى أمر تربيته فى المدرسة ، وزعيم هذا المذهب فِشْت أحد فلاسفة الألمان المشهورين . أما فروبل فقد رأى أن يسير بين الفريقين ويجرى فى قصد السبيلين ، فقرر أن الولد تابع للأسرة والحكومة معًا ، وأوجب أن يشترك المنزل والمدرسة فى تربيته إذا بلغ الثالثة من عمره . على أنهُ رأى أن لتربية الطفل فى المدرسة إذا بلغ هذه السن فوائد لا يستطاع الحصول عليها فى المنزل مهما بلغت الأم من العلم والذكاء والقدرة على أعمال التربية والتهذيب ، وذلك لأن الطفل لا يجد فى المنزل من الخلطاء والعشراء من يماثلونهُ فى سنه وتفكيره ، فإنه إن نظر الى أبويه وجدهما فى مستوى أرقى وأعلى من مستواه ، وإن نظر الى إخوتهِ وجدهم أصغر منهُ أو أكبر سنًّا . أما فى المدرسة فإنهُ يجد كثيراً من لِدَاته وأقرانه الذين ينخرط فى زمرتهم ويشاركهم فى أعمالهم وألعابهم ، فيكسب من وراء هذه الحياة فوائد عظيمة ، إذ تتربى فيه العواطف الاجتماعية ، ويتعود ضبط النفس وإنكار الذات ، وينشأ على احترام ما لغيره من الحقوق . ومن هنا كان فروبل يرى أن المنزل لا يغنى فى التربية عن روضات الأطفال .

انتشار رياض الأطفال

(١) فى ألمانيا : قبل وفاة فروبل قامت فى ألمانيا مدارس قليلة على مثال روضة الأطفال المعروفة فى كيلهو ، ولكنها لم تلبث أن فوجئت بقرار من الحكومة البروسية قضى بإغلاقها جميعها ، بتهمة أنها ذات نَزعة اشتراكية تُخْشى عواقبها ، وقد بقى هذا القرار

مرعيًّا عشر سنوات كاملة ، ثم رُخِّص للناس بعد ذلك فى إنشائها ، ولكنها على الرغم من ذلك لم تنل من التقدم ما كان مرجوًّا لها . وهكذا قدر لروضات الأطفال أن تكسد سوقها وتذهب ريحها فى موطنها الذى ولدت فيه .

(٢) فى فرنسا : تعد فرنسا أول مملكة اتسع فيها نطاق مدارس الأحداث الصغار ، إلا أن مدارسها هذه لا تشبه روضات الأطفال من كل الوجوه ، فإن نظامها وطرائقها ومواد التدريس فيها لا تتفق هى والمبادئ الفروبلية إلا الى درجة محدودة . ومدارس الأحداث الفرنسية على حداثة تكوينها لها حظ كبير من النجاح ، إذ يتعلم فيها الآن أكثر من ٥٠٠,٠٠٠ من الأطفال الذين تتراوح أعمارهم بين الثانية والسادسة .

(٣) فى انجلترا : دخلت هذه المدارس فى انجلترا سنة ١٨٥٤ وعاضدها كثير من الكتاب ورجال العلم ، ومنهم « دِكِنْز » الروائى الشهير ، وقد كانت فى أول أمرها قليلة خاصة بأولاد الأغنياء والمترفين ، ثم أخذت تنمو وتنفق سوقها غير أنها لم تدخل ضمن النظام المدرسى فى هذه البلاد إلا منذ سنة ١٨٧٤ .

(٤) فى الممالك المتحدة : لم تكن روضات الأطفال فى مملكة ما أرفع شأنا ولا أعظم خطراً ولا أكثر شيوعًا منها فى الولايات المتحدة . وأول من دعا اليها فى هذه البلاد طائفة من فضلاء الألمان الذين هاجروا اليها لاضطراب الأحوال وانتقاض الأمور فى بلادهم ، وكان ذلك فى منتصف القرن التاسع عشر أو بعده بقليل . ثم نهضت على إثر ذلك المربية الشهيرة « اليصابت پيبُدِى » فأسست أول روضة للأطفال فى مدينة « بوستن » سنة ١٨٦٠ ، ولم تمض على ذلك عشر سنوات كاملة حتى أُنشئ من هذه المدارس عدد غير قليل على نفقة الأهلين . وفى سنة ١٨٧٣ جعلت روضات الأطفال جزءاً من النظام المدرسى فى هذه البلاد ، وكان ذلك بفضل قوم من أنصار فروبل فى أمريكا يقودهم الدكتور « هَرِس » والسيدة « سوزان بلُو » . ومن ذلك العهد درجت هذه المدارس فى سبيل الرقى والانتشار فى هذه البلاد حتى أصبحت الولايات المتحدة لا توجد فيها مدينة صغيرة أو كبيرة إلاّ وروضات الأطفال تعد ضمن مدارسها العامة التى ينفق عليها من مال الحكومة .